الأفق الحضاري للتواصل العماني العالمي

د. سليمان بن سالم الحسيني

بحوث في:

- الروابط الحضارية العمانية الإيرانية.
- العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية.
- العُمانيون وشرق إفريقيا.
- كتابات الرحالة والمستشرقين الغربيين عن عُمان وقيمتها العلمية والتاريخية والثقافية.

مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربيَّة والإنسانيَّة
alkhalilcenter@unizwa.edu.om
هاتف: ٢٥٤٤٦٢١٥ (٩٦٨+)
٢٥٤٤٦٢٤٨ (٩٦٨+)
الطبعة الأولى
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

التصميم:
فخرية بنت خميس المعمرية
دائرة الإعلام والتسويق

التدقيق اللغوي:
محمد بن علي الإسماعيلي
خليل بن محمد الحوقاني

المتابعة:
جوخة بنت سيف التوبية
مازن بن ناصر البوسعيدي

alkhalilcenter@unizwa.edu.om
Tweeter: @alfrahidicenter
facebook: alfrahidicenter

حقوق الطبع محفوظة لجامعة نزوى ©
لا يجوز إعادة طباعة هذا الكتاب أو إعادة إنتاجه بأي شكل من الأشكال التقنية الحديثة إلا بإذن من الناشر. كما لا يجوز اقتباس أو استعارة أي من محتوياته لأغراض البحث والتأليف والتدريس دون الإشارة إلى الكتاب والكاتب ورقم الصفحة.
Copyright: All rights reserved; no part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by

المحتوى: **الصفحة**

المقدمة ٥

الروابط الحضارية العمانية الإيرانية المعاصرة: المجالات والمرتكزات وعوامل الاستدامة. ١١

العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية. ٣٥

العُمانيون وشرق إفريقيا في بعض الدراسات الغربية المعنية بالشأن الإفريقي ٩٧

كتابات الرحالة والمستشرقين الغربيين عن عُمان وقيمتها العلمية والتاريخية والثقافية ١٢٥

المقدمــة:

أتيحت لي الفرصة للمشاركة في ندوات وفعاليات تحدثت فيها عن بعض من جوانب العلاقات التاريخية والمعاصرة الثقافية والعلمية والحضارية التي تربط سلطنة عمان بمحيطها الدولي، ولكن لم تتح الفرصة للبحوث التي قدمتها في تلك الفعاليات للنشر؛ فارتأيت نشرها في هذا الكتاب إسهاما في التعريف بما تمتاز به سلطنة عمان في هذا المجال المهم من العلاقات والتواصل الدولي. فسلطنة عمان تربطها منذ عصور قديمة علاقات حضارية بالعديد من الشعوب والدول والثقافات والحضارات. وقد أسهم في تمكين وتوطيد تلك العلاقات والأواصر عدد من العناصر والمقومات المهمة، منها: موقع عمان الجغرافي، وقيام عُمان منذ آلاف السنين قطرا مستقلا له هويته السياسية والاجتماعية والثقافية المعروفة والمميزة.

وسيطلع القارئ في هذا الكتاب على الدراسات الآتية:

الروابط الحضارية العمانية الإيرانية المعاصرة: المجالات والمرتكزات وعوامل الاستدامة. ورقة معدة للتقديم إلى المؤتمر العالمي للحوار الثقافي في الآفاق الحضارية لإيران والعالم العربي، الذي نظمه المعهد العالي والثقافة الإسلامية 26 ديسمبر 2019م، بمدينة قم المقدسة، الجمهورية الإسلامية

الإيرانية. وهذه الدراسة الوصفية تسلط الضوء على الروابط الحضارية بين سلطنة عمان والجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ بهدف معرفة مجالاتها ومرتكزاتها وعوامل بقائها واستدامتها. وتقدم الدراسة تحليلا للدور المحوري للدين الإسلامي في تشكيل الروابط الحضارية بين الدولتين الجارتين، وكيف أن التسامح والتعايش شكّلا مبدئا للانفتاح على الآخر، مبنيا على قواعد دينية مستقاة من تعاليم الإسلام الحنيفة السمحة، وفتحا آفاقا للحوار بين الدولتين، ومهّدا السبيل للمؤسسات الرسمية والأهلية والأفراد من كلا الشعبين للاتصال والتواصل والفهم والتفاهم والبناء الحضاري، وجنّباهما الصدام والنزاع. وتخلص الدراسة إلى أن الحوار الحضاري وما حمله من قيم وأهداف، في كافة مستوياته وقنواته، كان أحد الدعامات الأساسية للعلاقة المتميزة بين الجانبين؛ لذلك توصي الدراسة بأهمية بقاء قنوات الحوار الحضاري والثقافي والعلمي مفتوحة بين الشعبين والدولتين، اللتين تربطهما كثير من الأواصر والروابط التاريخية؛ كونه عاملا مهما من عوامل استدامة الروابط الحضارية بين سلطنة عمان والجمهورية الإسلامية الإيرانية.

العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية. ورقة قدمتها في (ملتقى الصحافة العمانية الأوروبية بين عمان وأوروبا، جسور للتواصل الصحفي والأدبي والفني)، الذي نظمته جمعية الصحفيين العمانية بمقر منظمة اليونسكو بالعاصمة الفرنسية باريس يومي الإثنين

والثلاثاء 19-20 نوفمبر 2019م. وتهدف هذه الدراسة الوصفية التحليلية إلى التعرف على واقع العلاقة الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية من حيث: النشأة، ونوع الأنشطة الثقافية والتعليمية القائمة في البلدين، والمؤسسات التي تنفذها وتشرف عليها، وسبل تطويرها وتحسينها. وتطرح الدراسة خمسة أسئلة بحثية تسعى للإجابة عليها بتطبيق أداتين بحثيتين لجمع البيانات من مصادرها الأولية، هما: المقابلة مع الشخصيات المعنية بهذه العلاقات، وتحليل الوثائق المتصلة بها.

وقد توصلت الدراسة إلى أن العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية متينة ومتنوعة ومثمرة، ترتكز على تقارب سياسي ودبلوماسي بين البلدين، وتستند على مجموعة من اللوائح والبروتوكولات التي تنظم الخطط والبرامج والنشاطات التي تقوم بها المؤسسات المعنية بالثقافة والتعليم في السلطنة والجمهورية الفرنسية، وتلقى الدعم والتشجيع من المسؤولين في البلدين. وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن الأنشطة الثقافية والتعليمية الحالية قابلة للتطور والتوسع؛ لتغطي مجالات أكثر من التي تشملها في الوقت الحاضر، ويمكن أن تتعزز هذه العلاقة بافتتاح مركز عماني فرنسي في باريس، نظيرا للمركز العماني الفرنسي في مسقط؛ ليحمل نفس الرسالة والهدف، ويقدم خدماته إلى المجتمع الفرنسي.

العُمانيون وشرق إفريقيا في بعض الدراسات الغربية المعنية بالشأن الإفريقي. قدمت هذه الورقة في المؤتمر الدولي الثالث حول الحضارة والثقافة الإسلامية والدور العماني في دول البحيرات العظمى الإفريقية 9-12 ديسمبر 2014م بجمهورية بوروندي، الذي نظمته هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية. وتسعى هذه الدراسة إلى تتبع ما تحتويه بعض المراجع والمصادر الغربية حول الوجود العُماني في شرق إفريقيا؛ بهدف التعرف على الحقائق التاريخية التي تحتويها تلك المصادر والمراجع عن الوجود العُماني في شرق إفريقيا. وقد خلصت الدراسة إلى أن كثيرا من المراجع التي كتبها مؤلفون غربيون عن تاريخ شرق إفريقيا وتاريخ عُمان تحتوي على معلومات مهمة عن الوجود العُماني في شرق إفريقيا، والتفاعل التاريخي والحضاري بين العُمانيين والأفارقة في ذلك الجزء من العالم. والتنوع في المنهجية التي كُتبت بها تلك الدراسات إلى جانب الزوايا التي تنظر من طريقها إلى الموضوع، يعطيها ثراء في العرض وفي المعلومة في آن معا.

كتابات الرحالة والمستشرقين الغربيين عن عُمان وقيمتها العلمية والتاريخية والثقافية. قدمت هذه الورقة في ندوة: (عُمان في المصادر الجغرافيّة وكتابات الرحالة والمستشرقين) التي نظَّمتْها جامعة نزوى بالتعاون مع المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعيّة، ندوة عقدت بمقرّ سفارة سلطنة عمان في باريس الثلاثاء 8 نوفمبر 2016م. وتُعنى هذه الدراسة

بالموروثين الثقافي والعلمي الذي تركه الرحالة والمستشرقون الغربيون عن عُمان، وسبب اهتمامهم بالكتابة عن عُمان والترحال والتجوال في ربوعها برا أو بحرا. وتهدف الدراسة إلى تحديد القيمة العلمية والتاريخية والثقافية لذلك الموروث، ومدى إسهامه في الأطروحات والكتابات البحثية والأكاديمية المعاصرة. وقد خلصت الدراسة إلى أن العوامل التي دفعت الرحالة والمستشرقين الغربين للاهتمام بعُمان تجوالا وكتابة نابعة من موقعها المهم على طرق التجارة البحرية القديمة، والتبادل الحضاري البارز مع أمم العالم وشعوبه، خاصة مع الدول المطلة على الجزء الغربي من المحيط الهندي وشرق إفريقيا والهند. كما أن هناك دوافع نابعة من توجهات المستشرقين أنفسهم ودولهم التي جاءت إلى المنطقة بروح الاستعمار والاستكشاف والاستثمار التجاري في آن واحد. وتوصي الدراسة بضرورة الحفاظ على التراث الذي تركه الرحالة والمستشرقون عن عُمان؛ لأهميته العلمية والأكاديمية والتاريخية، وإجراء مزيد من الدراسات والبحوث فيه، وجمعه في نسخ موسوعية، وترجمته إلى اللغة العربية لكي يتسنى تناوله من قبل الباحثين العُمانيين والعرب.

الروابط الحضارية العمانية الإيرانية المعاصرة: المجالات والمرتكزات وعوامل الاستدامة.

سلطنة عمان والجمهورية الإسلامية الإيرانية تربطهما علاقات حضارية ضاربة في قدم التاريخ، تتجلى مظاهرها في العصر الحاضر في جوانب متعددة: دينية وثقافية وتربوية واجتماعية واقتصادية ودبلوماسية، وتمتاز بالمتانة والنمو والتطور، وتعززها علاقات دبلوماسية متينة، وتوجه لدى قيادة البلدين لتقوية هذا الاتصال الحضاري واستدامته؛ لتحقيق أهداف متعددة في مقدمتها: السلام والاستقرار ورخاء شعبيْ البلدين وغيرهما من شعوب المنطقة.

ومن المعروف أن الشعوب تميل إلى الاتصال والتواصل مع الشعوب التي تشترك معها في روابط تاريخية، وتربطها بها وشائج اجتماعية وعلاقات أسرية، وتجمعها ثقافة واحدة أو أنماط ثقافية تتلاقى وتتداخل في أكثر من مجال وجانب، وتتفق معها على ثوابت معينة وتطلعات وآمال. ومثل هذه الخصائص والسمات والمحددات توجد بكثرة بين الشعبين العماني والإيراني؛ مما يعني أن الروابط الحضارية بين الدولتين قوية ومتينة وتسير في طريق سليم، وتتجه نحو مزيد من القوة والمتانة.

من هذا المنطلق فإن الدراسة تقدم تحليلا للروابط الحضارية التي تلتقي من خلالها سلطنة عمان بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومقومات تلك الروابط الحضارية والجهود القائمة على مستوى البلدين لتعزيز تلك العلاقات والروابط.

الانتماء الحضاري وإسهامه في تدعيم الروابط العمانية الإيرانية:

لقد أولت سلطنة عمان انتماءها الحضاري عناية بالغة؛ فقد حدد النظام الأساسي للدولة أن سلطنة عمان دولة عربية إسلامية، وأن دين الدولة الإسلام، وأن الشريعة الإسلامية هي أساس التشريع، وأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة[1]. وأولت السلطنة كذلك عناية وأهمية للتواصل مع الشعوب والدول التي تربطها بها روابط حضارية، وتتشارك معها في التاريخ والمصير. وينبع ذلك الاهتمام بالبعد الحضاري، من القناعة بأن الانتماء الحضاري يشكل قاعدة ثابتة راسخة تقوم عليها مقومات الشعوب والدول فكريا وثقافيا واجتماعيا، وتستقي منها ثوابتها، وتستلهم منها الرؤى لرسم خريطة مستقبلها، وتحدد من خلالها علاقتها مع الشعوب والدول الأخرى. وفي هذا الشأن، رسم السلطان قابوس بن سعيد، سلطان عمان، سياسة خارجية قائمة على مد يد الصداقة للمجتمع الدولي والتعاون مع الجميع، فيقول في ذلك: "إننا إذ نعتز بالصداقات التي تربط

(1) المرسوم السلطاني رقم 69/101 بإصدار النظام الأساسي للدولة.

بين عُمان والأسرة الدولية فإننا نؤكد في ذات الوقت حرصنا على الاستمرار في أداء دورنا كاملا على الساحة العالمية وفقا للمبادئ التي اعتمدناها منذ البداية منطلقا لسياستنا التي تسعى بكل إخلاص إلى الصداقة والتعاون مع الجميع وتناصر القضايا العادلة لكافة بلدان وشعوب العالم وتعمل من أجل السلام والاستقرار على كافة المستويات الدولية"[1].

ويتصدر الدين مقدمة الروابط الحضارية بين الشعبين العماني والإيراني. فالعقلية الدينية في عمان تشكلت في وقت مبكر من انطلاق الدعوة الإسلامية. وكان لاعتناق العمانيين الإسلام طواعية وبقناعة وقرار ذاتي في عهد الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- أثر كبير في فهم العمانيين لرسالة الإسلام الحضارية، وأن هذا الدين إنما جاء ليربط بين بني البشر ويوحدهم تحت مظلة الإيمان بالله وبرسوله، ويمد بين شعوب الأرض وأممها جسور الاتصال والتواصل والمودة والرحمة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، ويقول كذلك: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[3].

([1]) خطاب بمناسبة العيد الوطني الخامس عشر المجيد 18 نوفمبر 1985م. كلمات وخطب حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم.(2015). إصدار وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ص189.
([2]) سورة الأنبياء، الآية107.
([3]) سورة الأنبياء، الآية92.

لذلك، ومن هذا المنطلق القرآني والقناعة الإيمانية، تبنت عمان منهج الانفتاح على جميع المدارس والمذاهب الإسلامية، وأصبح التسامح الديني والمذهبي سمة أساسية من سمات المجتمع العماني، ومكونا أساسا للعقلية الحضارية العمانية، يُترجم فعليا وعمليا على كافة الصعد القيادية والاجتماعية والدينية والتربوية والأسرية عبر التاريخ، وفي كثير من المواقف والأحداث؛ مما جعل عُمان واحة آمنة لجميع المدارس والمذاهب الإسلامية، يعيش فيها العمانيون وغير العمانيين، من مختلف الديانات والمذاهب تحت مظلة وارفة من التسامح والتعايش والمودة والرحمة واللحمة الوطنية. وقد أكدت العديد من الجهات الإعلامية والحقوقية والدبلوماسية العالمية على هذه الحقيقة، فقد نص (التقرير العالمي لحرية الأديان لعام 2018م) الصادر من وزارة الخارجية الأمريكية (أن القانون الأساسي- في السلطنة- يحرم التمييز القائم على الدين... وأعربت الجماعات غير المسلمة في البلد عن قدرتها على ممارسة شعائرها التعبدية بحرية... ويستطيع غير المسلمين استيراد النصوص الدينية التي تخصهم... وأن مركز الأمانة البروتسنتي لحوار الأديان، ووزارة الأوقاف مستمران في تنظيم البرامج الهادفة لتعريف الطلبة البروتستانت بالإسلام)[1].

([1]) الحسيني، سليمان بن سالم (2019م). الدين: انطباعات من المشهد العالمي. مقال منشور في ملحق (إشراقة)، جامعة نزوى، العدد 130، ديسمبر 2019م.

فعندما قامت الإمامة في عُمان في القرن الثاني الهجري –ويمكن أن يُعَّد بداية تكون الهوية الفكرية السياسية العمانية المستقلة عن مركز الدولة الإسلامية التي هيمنت عليه الدولتان الأموية والعباسية– كان من أهم ما بايع عليه الرعيةُ الإمامَ أن لا يتهموا بالشرك من خالفهم من المسلمين، ولا يستحلوا أموالهم وأولادهم، فقد ورد بند في البيعة التي عقدها العمانيون للإمام الوارث بن كعب عام 179هـ ينص على أنه: "لا يسموا بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين[...] ولا يستحلوا منهم غنيمة مال ولا سبي عيال"[1]. ومن هذا المنعطف التاريخي يمكن القول إن مبادئ القيادة العمانية تأسست منذ القرن الثاني الهجري على أن قتال المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم معصية لله ومخالفة لأوامره –سبحانه وتعالى– وبُعْدٌ عن هدي نبيه محمد –صلى الله عليه وآله وسلم؛ لذلك لم يعرف عن العمانيين طوال تاريخهم أنهم شنوا حروبا على المسالمين من المنتمين إلى الفرق الإسلامية الأخرى، أو قاموا بالاعتداء عليهم لمجرد أنهم يخالفونهم في المذهب[2].

([1]) السالمي، عبدالله بن حميد. (1985). تحفة الأعيان بسيرة عُمان، ص77.

([2]) الحسيني، سليمان بن سالم (2016). إمامة الإمام الخليلي من منظور استشراقي، دراسة نقدية لأطروحة أوزي رابي. مجلة الخليل، عدد خاص 4، ص291-328.

وفي الإطار نفسه، تجنب العمانيون على مدى تاريخهم الإسلامي إصدار الفتاوى المكفرة للمسلمين الذين لا يتفقون معهم في وجهات النظر والأقوال الفقهية، وحرموا تضليلهم والانتقاص من قدرهم، وابتعدوا في خطابهم عن السباب، والتسفيه، وتلقيف (أم تلفيق؟) الأقوال، واصطناع المواقف[1]. ويقول الشيخ نور الدين السالمي، من علماء القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، موضحا الموقف الديني في عمان من أبناء الأمة الإسلامية ومذاهبها: "ونؤدي الأمانة إلى من استأمننا عليها من قومنا أو غيرهم، ونوفي بعهود قومنا من أهل الذمة وغيرهم، ونجير من استجارنا من قومنا وغيرهم ويأمن عندنا منهم الكاف عن القتال المعتزل بنفسه من غير أن نشك في ضلالته[...] ولا نرى الفتك بقومنا ولا قتلهم في السر وإن كانوا ضلالا؛ لأن الله لم يأمر به في كتابه، ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين، فكيف نفعله نحن بأهل القبلة[...] ونرى أن مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا[...] ولا نرى أن نقذف أحدا ممن يستقبل قبلتنا بما لم نعلم أنه فعله خلافا للخوارج الذين يستحلون قذف من يعلمون أنه بريء من الزنا من قومهم وهم بذلك مضلون[...] ولا نرى استعراض قومنا

(1) المرجع السابق.

بالسيف ما داموا يستقبلون القبلة، ولا نرى قتل الصغير من أهل قبلتنا ولا غيرهم"[1].

وتبدو النزعة نحو الوحدة الإسلامية، والحوار، والفهم والتفاهم والتعايش والعيش المشترك واضحة في الخطاب الفكري العماني المعاصر والتشريعات القانونية، والأدبيات التي تصدرها المؤسسات الثقافية والأكاديمية العمانية. فقد ارتكز الخطاب الديني العماني المعاصر على الدعوة إلى الوحدة، ونبذ كل وسائل الفرقة التي تشتت الأمة الإسلامية وتجعل منها تيارات متصارعة. يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المفتي العام لسلطنة عمان في هذا الشأن: "فديننا كما جاء بعقيدة التوحيد، جاء بالدعوة إلى توحيد الأمة ونبذ تشتتها، وتجاوز كل أسباب فرقتها وخلافها، فإن الله سبحانه وتعالى، كما دعا في كتابه العزيز إلى توحيده عز وجل بإفراده بالعبادة وعدم إشراك غيره معه، دعا إلى وحدة الأمة حتى تكون أمة واحدة في عقيدتها وعبادتها، وفي آلامها وآمالها، وفي مبادئها وغاياتها، وفي أحاسيسها ومشاعرها"[2].

([1]) السالمي، عبدالله (1985).
([2]) الخليلي، أحمد بن حمد (دون سنة نشر). مناهج التشريع الإسلامي والبحث العلمي، ص12.

وبهدف تعزيز التسامح ونشر رسالة الإسلام السمحة القائمة على الاعتراف والتعارف، تبنت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان منذ عام 2003م نشر مجلة (التفاهم) التي تصدر باللغتين العربية والإنجليزية. فهي: «نهج إسلاميٌّ وسطي ومعتدل وتجديدي، يتوخى القراءة الجديدة لجوانب الحضارة الإسلامية، وفلسفة الدين، ومعرفة العالَم المعاصر ومواقع الإسلام والمسلمين فيه، ومسائل التعارف والحوار والاستشراف للحاضر والمستقبل"[1]. وإذ حددت المجلة من ضمن أهدافها "ترسيخ الإسلام القائم على التفاهم وحق الاختلاف والتعددية في وجهات النظر"[2]، فقد نشرت المجلة بحوثا ودراسات لكتاب وباحثين من شتى الاتجاهات الفكرية من داخل العالم الإسلامي وخارجه، ووجدت تجاوبا وقبولا من المهتمين بمواضيعها من بين المسلمين وغير المسلمين. إضافة إلى ذلك، حرصت المجلة على "إعادة الاعتبار للاجتهاد بوصفه مسألة حيوية في الفكر الإسلامي من أجل تجديد ذاته في مواجهة العصر ومتغيراته، والعمل على إصلاح مواطن الخلل في الفكر الإسلامي، وفتح المجال

---

(1) الموقع الرسمي لمجلة التفاهم،
https://tafahom.mara.gov.om/mn-nhn/alahdaf
(2) المرجع السابق.

لتصورات إسلامية تصدر عن وحدانية لا تشوبها شائبة، وتسعى لتجسد رؤى مستنيرة، بعيدا عن التعصب"[1].

ولتأكيد أهمية التسامح ونشر رسالته، وبث روحه وصفاته بين الناس داخليا وخارجيا، وبث روح التفاعل الإيجابي في موضوع الحوار بين الأديان، تنظم وزارة الأوقاف والشؤون الدينية كذلك معرض (رسالة الإسلام من عمان)، الذي ينتقل داخليا بين المحافظات العمانية، وخارجيا بين عواصم العديد من الدول الصديقة والشقيقة ومدنها وحواضرها الرئيسة. وقد جعلت السلطنة من هذا المعرض المتنقل وسيلتها للتعريف بالدين الإسلامي بطريقة حضارية مقبولة بين الأمم والشعوب غير المسلمة؛ عبر العديد من الفعاليات المصاحبة له، والتغطيات الإعلامية والمناشط الثقافية. ومن هذا المعرض وأنشطته وفعالياته، تستجيب السلطنة للدعوة التي أطلقتها في عام 1996م الجمعية العمومية للأمم المتحدة (بموجب القرار 95/51) للدول الأعضاء إلى الاحتفال باليوم العالمي للتسامح في 16 من نوفمبر، وذلك من خلال القيام بالعديد من الأنشطة بهدف ترسيخ مبدأ التسامح[2].

([1]) المرجع السابق.
([2]) الموقع الرسمي لرسالة الإسلام من عمان، http://www.islam-in-oman.com

وفي إطار التشريعات والقوانين والأنظمة، فإن النظام الأساسي للدولة بسلطنة عمان كفل الحقوق لكل المواطنين سواسية، وجعل المواطنة المعيار الذي على أساسه تحدد الحقوق والواجبات. فقد نص النظام الأساسي للدولة أن المواطنين "متساوون في الحقوق والواجبات العامة، ولا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو الدين أو المذهب أو الموطن أو المركز الاجتماعي". ونص القانون كذلك على أن "العدل والمساواة وتكافؤ الفرص بين العمانيين دعامات للمجتمع تكفلها الدولة. وأن الدولة تمنع كل ما يؤدي للفرقة والفتنة أو المساس بالوحدة الوطنية"، وتمنع الدولة كذلك "ما يسيء إلى كرامة الإنسان وحقوقه". وكفل القانون "الحرية الشخصية"، وحرية الرأي والتعبير عنه بالقول والكتابة وبكل وسائل التعبير. وكفل القانون كذلك "حرية القيام بالشعائر الدينية طبقا للعادات المرعية وبما لا يخل بالنظام العام أو ينافي الآداب، وحرية الاجتماع ضمن حدود القانون، وحرية تكوين الجمعيات على أسس وطنية ولأهداف مشروعة وبوسائل سلمية"[1].

وعلى صعيد آخر، حرصت سلطنة عمان على المشاركة في المؤتمرات واللقاءات والمنظمات والتجمعات الإسلامية، الثنائية والإقليمية والدولية، التي تجعل الحوار الهادف وسيلة لها، وتجعل التقارب بين أطياف

(1) المرسوم السلطاني رقم 69/101 بإصدار النظام الأساسي للدولة.

الأمة الإسلامية هدفها، ورأب الصدع وتحقيق الوحدة غايتها السامية النبيلة. فقد حرصت سلطنة عمان على دعم الجهود التي قام بها (المجمع العالمي للتَّقريبِ بين المذاهب الإسلامية بإيران)، (ومؤسسة آل البيت الملكيَّة للفكر الإسلامي بالأردن)، (والمجلسُ الأعلى للتَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، التَّابعِ للمنظَّمةِ الإسلاميَّةِ للتَّربيةِ والعلوم والثَّقافة، المنبثقةِ من منظمةِ التعاون الإسلامي). وقد استضافت سلطنة عُمان ممثلة في وزارة الأوقاف والشُّؤون الدِّينية في 1419هـ/ 1998م، النَّدوة السَّادسة التي نظّمتها (مؤسَّسةُ آل البيت الملكيَّة للفكر الإسلامي)، وكان موضوعُها (الاجتهادُ في الإسلام)، وحضرها ممثِّلُون من أتباعِ المذاهب الإسلامية السبعة: الحنفي والمالكي والشَّافعي والحنبلي والجعفري والزَّيدي والإباضي.

ومن بين أهم المشاريع الإسلامية المعاصرة والجهود الحميدة المثمرة التي أيدتها سلطنة عمان ووقفت معها موقفا إيجابيا مساندا: (استراتيجيَّةِ التَّقريبِ بين المذاهب الإسلاميَّة) التي تبنتها وأصدرتها الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي ممثلة في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وأقرها المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الثلاثين في طهران في مايو 2003م. فقد أكدت هذه الاستراتيجية أنَّ المذاهب الفقهية الثمانية المعاصرة: الحنفيّ، والمالكيّ، والشَّافعيّ، والحنبليّ، والجعفريّ، والزَّيديّ،

والإباضيّ، والظَّاهري، تعدُ ظاهرةً صحية ومثرية للتنوع الضروري في العالم الإسلامي[1].

وشاركت سلطنة عمان في (المؤتمر الإسلامي الدولي الأول) الّذي عُقد عام 1426هـ/ 2005م، في العاصمة الأردنيّة عمّان وأصدر البيان الأول من نوعه على صعيد العالم الإسلامي أن أتباع المذاهب الإسلامية كلهم مسلمون ولا يصح تكفيرهم، إذ ورد في نص البيان الصَّادر عن هذا المؤتمرِ: "إنَّنا- نحن الموقعين في أدناه- نعربُ عن توافقِنا على ما يردُ تاليًا، وإقرارُنا به: إنَّ كلَّ مَن يتَّبع أحدَ المذاهب الأربعةِ من أهل السُّنَّة والجماعةِ (الحنفيّ، والمالكيّ، والشَّافعيّ، والحنبليّ) والمذهبَ الجعفريَّ، والمذهبَ الزَّيديَّ، والمذهبَ الإباضيَّ، والمذهبَ الظاهريَّ، فهو مسلمٌ، ولا يجوزُ تكفيرُه. ويحرمُ دمُه وعرضُه وماله. وأيضًا، وفقًا لما جاءَ في فتوى فضيلةِ شيخ الأزهر، لا يجوزُ تكفيرُ أصحابِ العقيدة الأشعريَّة، ومَن يمارسُ التَّصوُّفَ الحقيقي. وكذلك لا يجوز تكفيرُ أصحابِ الفكرِ السَّلفي الصَّحيح، كما لا يجوزُ تكفيرُ أيّ فئةٍ أخرى من المسلمين تؤمنُ باللهِ –

([1]) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (2010م). "استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية" ص18:
http://www.isesco.org.ma/templates/isesco/strategy/ar/documents/strategie-takrib.pdf، تاريخ الاقتباس 2014/11/21م.

سبحانه وتعالى- وبرسولِه -صلى الله عليه وسلَّم- وأركانِ الإيمان، وتحترمُ أركانَ الإسلام، ولا تنكرُ معلومًا من الدِّين بالضُّرورة"[1].

وأدى بروز سلطنة عمان، واحدة من أكثر الدول نبذا للتمييز القائم على الدين، وحرصا على نشر فكر التسامح والتعايش بين سكانها، سواء كانوا مواطنين أم مقيمين أم زوارا، إلى قبول السلطنة لدى الدول الداعمة للحوار والتفاهم والتسامح. وتقاطعت عناية سلطنة عمان بالبعد الحضاري في علاقتها بالعالم، لا سيما دول الجوار، وتغليبها لغة الحوار والتقارب والتسامح، والتقت مع الجهود التي قادتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية في التقريب بين المذاهب الإسلامية، وحوار الحضارات، والحوار الثقافي مع الدول العربية. فقد كان للجمهورية الإسلامية الإيرانية زمام المبادرة في إطلاق مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية. ولتحقيق هذه الغاية تأسس بالعاصمة الإيرانية طهران (المجمعُ العالميُّ للتَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّةِ) عامَ 1411هـ، بمباركة من المرشد الروحي للجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي. وهذا المجمع -كما أشار المدير العام السابق للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثَّقافة (إيسيسكو) الدكتور عبد العزيز

([1]) مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي (2005). "المؤتمر الإسلامي الأول لفترة 27- 29 جمادى الأولى 1426هـ/ 4-6 يوليو 2005م: http://www.aalalbayt.org/ar/conferencesandsymposia.html، تاريخ الاقتباس 2014/11/6م.

بن عثمان التويجري- "كان أوَّلَ مبادرةٍ أهليَّةٍ للعمل في مجال التَّقريب، قبل أن تبادرَ المنظَّمةُ الإسلاميَّةُ للتربيةِ والعلوم والثَّقافةِ (إيسيسكو) بإنشاء المجلس الأعلى لتنفيذِ استراتيجيَّةِ التَّقريبِ بين المذاهبِ الإسلاميَّة، باعتبارِها الجهاز الإسلامي المتخصص على صعيد العمل الإسلامي المشترك في إطار منظَّمة المؤتمر الإسلامي"[1].

وقد حُددت للمجمع ستة أهداف رئيسة تصب بشكل أساس في تقوية موقع الإسلام بين الدِّيانات والثقافات العالمية، وخلقِ جو التعارف بين المسلمين، وتدعيمِ الوحدة العقائدية والدينية بينهم. ويسعى المجمع لتحقيق ذلك من خلال جو علمي منفتحٍ على الاجتهاد والاستنباط؛ ليكون وسيلة علماء المسلمين ومفكريهم وقادتهم الدينيّين للتَّعارف والتَّفاهم فيما بينهم، على أن يتمَّ نقل ذلك من خلالهم إلى الجماهير المسلمة؛ وبذلك يتسنى نفي موارد سوء الظن والشبهات بين أتباع المذاهب الإسلامية. وقد ضمت الجمعية العمومية للمجمع في

([1]) التويجري، عبدالعزيز بن عثمان (2010م) "إشاعةُ ثقافة الحوار وتعزيز التَّسامح سبيلٌ للتَّخلُّص من الطائفيَّة والاختلاف". ورقةٌ مقدَّمة للمؤتمر العالميّ الثَّالث والعشرين للوحدة الإسلاميَّة، للمجمع العالمي للتَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة. http://www.taghrib.org/arabic/nashat/maidania/dowal/eqame/23/altovajri.htm، 2010/10/1م.

عضوية رئاستِها، وفي عضوية لجانها الفرعية أعضاء من مختلف المذاهب والدول الإسلامية[1].

وأسَّس المجمع في عام 1413هـ / 1992م جامعة المذاهب الإسلاميَّة؛ تفعيلًا لمبدأ المساواة بين أصحابِ المدارس الفقهية المتعددة. ولتحقيق هذه الغاية، فإن كلية المذاهبِ الإسلاميَّة بالجامعة تدرِّسُ الفقه الإماميَّ، والفقه الحنفيَّ، والفقه الشَّافعيَّ، والفقه المالكيَّ، والفقه الحنبليَّ، والفقه الزَّيدي، ووضعت من ضمن أهدافها: "إعدادُ جيلٍ من العلماءِ والمثقَّفين والباحثين المسلمين المطَّلعينَ على مذهبِهم الإسلاميّ، بالإضافةِ إلى المذاهب الإسلاميَّةِ الأخرى؛ ليكونُوا دعاةَ الائتلافِ بين المسلمين وعواملَ وِحدَتهم"[2].

وأطلقت إيران كذلك (حوار الحضارات)، من خلال المشروع الذي قدمه الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي إلى الأمم المتحدة، ونتج

---

(1) الحسيني، سليمان بن سالم (2017م). الحوار: الواقع والتحديات والمأمول. ورقة مقدمة في مؤتمر الحوار الثقافي العربي الإيراني بطهران، يناير 2017م: https://motaleaat.ir/index.aspx?pageid=39508&p=1

(2) مؤسسة التقريب بين المذاهب: http://www.taghrib.org/arabic/nashat/esdarat/kotob/arabic/books/lamha/about4.htm#

عنه حراكا عالميا مع نهاية الألفية الثانية الميلادية وبداية الألفية الثالثة، وكان من ثماره العديد من المؤتمرات والملتقيات العالمية، وأطروحات فكرية وأكاديمية وإعلامية أغْنت موضوع الحوار، وأثَّرَتْ في مسيره ونتائجه[1]. وقد شاركت سلطنة عمان في (الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات) التي عُقدِت في العاصمةِ الإيرانيَّةِ طهران في 1999م، برعاية الرئيس خاتمي، وحضرها رؤساء الدول والحكومات الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي أو ممثليهم.

وقد قدمت هذه الندوة، التي انعقدت تحت مظلة منظمة التعاون الإسلامي وبالتعاون مع الأمم المتحدة، حوار الحضارات إلى العالم من منظور إسلامي. فقد جاء في الإعلان الختامي للندوة، أن الندوة في سعيها للنهوض بثقافة الحوار تستوحي التعاليم الإسلامية الجوهرية، وتسترشد بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وقيمه النبيلة بشأن كرامة الإنسان والمساواة والتسامح والسلام والعدالة بين البشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأكد البيان كذلك أن الندوة تنطلق من مبادئ الإسلام الخاصة بتنوع البشر، والاعتراف بتنوع مصادر المعرفة، وتشجيع الحوار والتفاهم المتبادل، والاحترام الصادق المتبادل في العلاقات الإنسانية، وتشجيع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمرونة واللين في الخطاب. وأن الندوة تأتي تجاوبا

---

(1) الحسيني، سليمان (2017).

مع تطلعات البشرية للتمسك بالإيمان والأخلاق، وبناء الثقة على المستويين الإقليمي والعالمي، مع التأكيد على مبادئ العدالة والإنصاف والسلام والتضامن والمساوات، وعدم التمييز بين البشر والدول، والتعارف، ومشاركة الشعوب[1].

وتدير الجمهورية الإسلامية الإيرانية ممثلة في (رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية الإيرانية) (الحوار الثقافي بين إيران والعالم العربي)، الذي يعقد مؤتمرا دوريا بهدف إثراء الحوار بين النخب والمثقفين والأكاديميين العرب والإيرانيين، ومد جسور التواصل بين شعوب المنطقة. وقد كتبت جريدة (الرؤية) العمانية، بقلم الصحفي صالح البلوشي، الذي حضر أعمال المؤتمر الذي أقيم في الفترة من 21 إلى 24 يناير 2017م في طهران ومشهد: "كان واضحًا من جلسات المؤتمر بلجانها المتعددة أنّهم [الإيرانيون] يسعون إلى توثيق العلاقات مع المثقفين والمفكرين العرب، والاستماع إلى أفكارهم ووجهات نظرهم حول مستقبل العلاقات بين

---

(1) إعلان طهران الصادر عن (الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات) التي عُقِدت في العاصمةِ الإيرانيَّةِ طهران في 1999م، الأمم المتحدة الوثيقة رقم A/54/116، الوثيقة متوفرة على الرابط الآتي: https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N99/155/90/PDF/N9915590.pdf?OpenElement، تاريخ الاقتباس: 2016/07/20م.

العرب وإيران، بالإضافة إلى سعيهم إلى إيجاد تعاون مشترك بين الجامعات الإيرانية والعربية"[1].

وفي الاتجاه ذاته، تأسس في 2016م (المجمع العلمي والجامعي الإيراني العربي للحوار الثقافي)، واتخذ من جامعة الشهيد بهشتي بطهران مقرا دائما؛ ليكون منطلقا للتعاون العلمي والأكاديمي والثقافي بين الجامعات الإيرانية ونظيراتها الجامعات العربية. ويضم المجمع في عضويته أكثر من ثلاثين جامعة عربية وإيرانية، ويرحب بعضوية مزيد من الجامعات؛ خدمة للعلم ومؤسساته الأكاديمية. ويهدف المجمع إلى تعزيز مبادئ الفكر الوسطي والتفاهم والعقلية المشتركة، والعلاقات الحسنة بين المجتمعات الإسلامية، والتأكيد على ضرورة النقد البناء، وتعزيز دور الكفاءات والنخب الثقافية والأكاديمية في توسيع العلاقات والتواصل المستمر بين إيران والعالم العربي. كما يهدف المجمع إلى تأسيس التعاون العلمي والثقافي، وتعزيز الإنتاج العلمي المشترك؛ وذلك عبر الدوريات والكتب التخصصية، وإقامة المؤتمرات والاجتماعات والندوات العلمية والثقافية، والتبادل العلمي والثقافي، والتبادل الطلابي وتبادل الأساتذة الجامعيين. ويؤكد المجمع على

---

(1) البلوشي صالح بن عبد الله (2017م). مؤتمر الحوار الثقافي العربي الإيراني بطهران. جريدة الرؤية، الإثنين 30 يناير 2017م، على الرابط الآتي: https://alroya.om/post/

القواسم المشتركة والصلات التاريخية والثقافية بين أعضاء المجمع، وأهمية الجانب العلمي والثقافي للحوار، ودور المؤسسات الجامعية وأساتذة الجامعات في تعزيز الحوار بين الشعوب.

لقد أنتج الحوار الحضاري الذي تبناه الجانبان العماني والإيراني ثمارا يانعة لكليهما، تمثل في تقارب وجهات النظر، وتواصل مستمر على المستوى الدبلوماسي، ومقدرة على حل المشكلات ومتابعة المستجدات على الساحة الإقليمية والدولية. وفي المجالات الثقافية والأكاديمية والبحثية توجد أمثلة متعددة على التعاون بين البلدين، لا سيما على مستوى الجامعات، إذ ترتبط العديد من الجامعات العمانية باتفاقيات تعاون وتفاهم مع الجامعات الإيرانية، ويوجد تبادل للخبرات والأساتذة والطلبة الجامعيين، وتوجد كذلك مشاريع بحثية مشتركة وفرص للنشر العلمي. فجامعة نزوى، مثلا، ترتبط باتفاقيات تعاون مع ست جامعات إيرانية وهي: جامعة الشهيد بهشتي، وجامعة طهران، وجامعة طهران للعلوم الطبية، وجامعة العلامة الطبطبائي، وجامعة أصفهان للتكنولوجيا، ومعهد الرازي. ومنذ 2014م بدأت جامعة نزوى في تنفيذ برامج للتبادل الطلابي وتبادل الأساتذة والباحثين مع الجامعات الإيرانية التي تربطها بها اتفاقيات تعاون حيث وصل عدد المشاركين في هذه البرامج إلى أكثر من سبعين

متخصصا من الجانب الإيراني اشتركوا في برامج أكاديمية وبحثية في جامعة نزوى.

الخاتمة:

تقاطعت العلاقة العمانية الإيرانية عند محور مهم للبلدين، ألا هو المحور الحضاري الكفيل بالدفع بهذه العلاقة نحو مزيد من الرسوخ والمصداقية والفهم والتفاهم والتعاون في سائر المجالات المعاصرة الدبلوماسية، والثقافية، والتعليمية، والاقتصادية. فالعلاقات الحضارية العمانية الإيرانية تمتد جذورها إلى آلاف السنين، وعززت منها عوامل القرب الجغرافي، والانتماء إلى الإسلام، وتواصل واتصال بين شعبي البلدين، ورغبة جادة من قيادتي البلدين لتعزيز هذه العلاقة، والدفع بها نحو مزيد من الاستقرار والرسوخ لما فيه صالح البلدين وشعبيهما وشعوب المنطقة بشكل عام.

وقد أسهم سعي سلطنة عمان إلى نشر ثقافة التسامح والتفاهم والتعايش داخليا وخارجيا، ومد يد الصداقة إلى جميع دول العالم، وسعي الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى الحوار الحضاري، لا سيما مع الدول الشقيقة والصديقة، في التقارب بين البلدين. فحرصت سلطنة عمان على المشاركة الرسمية والأهلية في المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي يدعو إليها

الجانب الإيراني، والتوقيع على المذكرات والاتفاقيات المتصلة بالاعتراف بالآخر، ومد جسور التفاهم والتعارف معه، لا سيما تلك التي رعتها منظمة التعاون الإسلامي.

ومن هذا المنطلق، وبناء على هذا الإنجاز الحضاري العظيم المتمثل في التقارب والتفاهم بين سلطنة عمان والجمهورية الإسلامية، فإن الدراسة توصي بأهمية إبقاء أفق الحوار الحضاري والثقافي مفتوحا بين الجانبين على كافة المستويات الرسمية والأهلية، وأن تعززه قيادتي البلدين بمزيد من التفاهم والتقارب، والآليات والاتفاقات الثنائية التي تحقق لشعبي البلدين وللشعوب الأخرى بالمنطقة الأمن والاستقرار والسلم والسلام والرخاء.

المراجع:

آل سعد، قابوس بن سعيد (2015). خطاب بمناسبة العيد الوطني الخامس عشر المجيد 18 نوفمبر 1985م. كلمات وخطب حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم.إصدار وزارة الإعلام، سلطنة عمان.

البلوشي، صالح بن عبد الله. (2017م). مؤتمر الحوار الثقافي العربي الإيراني بطهران. جريدة الرؤية، الإثنين 30 يناير 2017م، على الرابط الآتي: https://alroya.om/post/

التويجري، عبدالعزيز بن عثمان (2010م) "إشاعةُ ثقافة الحوار وتعزيز التَّسامح سبيلٌ للتَّخلُّص من الطائفيَّة والاختلاف". ورقةٌ مقدَّمة للمؤتمر العالميّ الثَّالث والعشرين للوحدة الإسلاميَّة، للمجمع العالمي للتَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة.
http://www.taghrib.org/arabic/nashat/maidania/dowal/eqame/23/altovajri.htm، 2010/10/1م.

الحسيني، سليمان بن سالم. (2019م). الدين: انطباعات من المشهد العالمي. مقال منشور في ملحق (إشراقة)، جامعة نزوى، العدد 130، الحسيني، سليمان بن سالم. (2017م). الحوار: الواقع والتحديات والمأمول. ورقة مقدمة في مؤتمر الحوار الثقافي العربي الإيراني بطهران، يناير 2017م:
https://motaleaat.ir/index.aspx?pageid=39508&p=1 ديسمبر 2019م.

الحسيني، سليمان بن سالم. (2016). إمامة الإمام الخليلي من منظور استشراقي، دراسة نقدية لأطروحة أوزي رابي. مجلة الخليل، عدد خاص 4، ص291-328.

الخليلي، أحمد بن حمد. (دون سنة نشر). مناهج التشريع الإسلامي والبحث العلمي.

السالمي، عبدالله بن حميد. (1985). تحفة الأعيان بسيرة عُمان.

إعلان طهران الصادر عن (الندوة الإسلامية للحوار بين الحضارات) التي عُقدِت في العاصمةِ الإيرانيَّةِ طهران في 1999م، الأمم المتحدة الوثيقة رقم A/54/116، الوثيقة متوفرة على الرابط الآتي: https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N99/155/90/PDF/N9915590.pdf?OpenElement، تاريخ الاقتباس: 2016/07/20م.

المرسوم السلطاني رقم 69/101 بإصدار النظام الأساسي للدولة.

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (2010م). "استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية" ص18: http://www.isesco.org.ma/templates/isesco/strategy/ar/d

ocuments/strategie-takrib.pdf، تاريخ الاقتباس 2014/11/21م.

مؤسسة التقريب بين المذاهب: http://www.taghrib.org/arabic/nashat/esdarat/kotob/arabic/books/lamha/about4.htm#

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي (2005). "المؤتمر الإسلامي الأول لفترة 27- 29 جمادى الأولى 1426هـ/ 4-6 يوليو 2005م: http://www.aalalbayt.org/ar/conferencesandsymposia.html، تاريخ الاقتباس 2014/11/6م.

الموقع الرسمي لرسالة الإسلام من عمان، http://www.islam-in-oman.com

الموقع الرسمي لمجلة التفاهم، https://tafahom.mara.gov.om/mn-nhn/alahdaf

الموقع الرسمي لرسالة الإسلام من عمان، http://www.islam-in-oman.com

العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية

تلقي الدراسة الحالية[1] الضوء على العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية التي نشأت وتعززت بعد عام 1970، وهو جانب لم تتطرق إليه أي دراسة سابقة بالعمق والشمولية التي تقدمه

---

[1] أود أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأفراد والجهات الذين تعاونوا معي وقدموا لي الدعم والمعلومات القيمة أثناء كتابة هذا البحث، وأخص بالشكر: كلمنت موتيل (Clément Moutel) مستشار التعاون والنشاط الثقافي بسفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط، وكريستيان دو فيلييه (Christian Adam de Villiers) مدير المركز العماني الفرنسي، والأستاذ حسن الرمضاني معلم اللغة الفرنسية بالمركز العماني الفرنسي، وداميان جانماري (Damien Jean-Marie) مدير التعليم بالمركز العماني الفرنسي، وسيرج جابير (Serge Gabarre) مدير شعبة اللغة الفرنسية بجامعة نزوى، والأستاذ علي منوبي أستاذ اللغة الفرنسية والترجمة بجامعة نزوى، والفاضلة رؤى المعشرية خريجة تخصص اللغة الفرنسية والترجمة بجامعة نزوى، والمكتب الفني للدراسات والتطوير بوزارة التربية والتعليم، ومكتب دراسات تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم، والدكتور تقي عبدواني نائب رئيس مجلس الإدارة وعضو مجلس الأمناء وأحد مؤسسي كلية الخليج، ودائرة التنقيب والدراسات الأثرية بوزارة التراث والثقافة، وسفارة سلطنة عمان في باريس، ومركز التوجيه الوظيفي والتواصل مع الخريجين بجامعة نزوى، وعالمة الآثار الفرنسية (فلنتينا آزارا (Valentina Azzara)، ومدير المتحف العماني الفرنسي بمسقط، والمدرسة الفرنسية بمسقط، وقسم السياحة بكلية الآداب بجامعة السلطان قابوس.

الدراسة الحالية، فالدراسات السابقة، حسب معرفة الباحث، تعنى بالعلاقة التاريخية التي نشأت قبل عام 1970، وتركز على المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولا تتطرق إلى الجانب الثقافي والتعليمي إلا بصورة ثانوية وغير مركزة. فمن هذا المنطلق، يتمثل الهدف الرئيس للدراسة الحالية في التعرف على واقع العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية من حيث النشأة، ونوع الأنشطة الثقافية والتعليمية القائمة في البلدين، والمؤسسات التي تنفذها وتشرف عليها، وسبل تطويرها وتحسينها. وتطرح الدراسة الأسئلة البحثية الآتية:

- متى تأسست العلاقة الثقافية والتعليمية الحالية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية؟
- ما الاتفاقيات التي تؤطر لهذه العلاقة بين البلدين الصديقين؟
- ما المؤسسات المنوط بها تنفيذ تلك الاتفاقيات؟
- ما الأنشطة الثقافية والتعليمية الممارسة في سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية؟
- ما الجوانب والمجالات التي تحتاج للتطوير في العلاقات الثقافية والتعليمية بين البلدين؟

ومن حيث المنهجية، تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ وترصد واقع العلاقة الثقافية والتعليمية بين البلدين، وتَتَبَع نشأتها، وتحلل مكوناتها،

وتصفها كظاهرة قائمة على أرض الواقع. وتتبنى الدراسة المنهج النوعي في تحليل البيانات وفق الأسئلة البحثية للدراسة. وقد طبقت الدراسة أداتين لجمع البيانات من مصادرها الأولية، هما:

1- المقابلة: مع المتخصصين والمسؤولين من الجانبين العماني والفرنسي، الذين أثروا الدراسة بالمعلومات الأولية عن نشأة العلاقة الثقافية والتعليمية بين البلدين، والاتفاقيات المؤطرة لها، ونوع الأنشطة الممارسة. وقد قام الباحث بإجراء عشر مقابلات مع: مستشار التعاون والنشاط الثقافي بسفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط، ومدير المركز العماني الفرنسي، والمشرف التربوي بالمركز العماني الفرنسي، وأحد معلمي اللغة الفرنسية العمانيين بالمركز نفسه، ومدير شعبة اللغة الفرنسية بجامعة نزوى، وأحد أساتذة اللغة الفرنسية بالشعبة نفسها، وإحدى خريجات تخصص اللغة الفرنسية بجامعة نزوى، والمدير العام بالمكتب الفني للدراسات والتطوير بوزارة التربية والتعليم، ونائب رئيس مجلس الإدارة بكلية الخليج، ومدير المتحف العماني الفرنسي بمسقط.

2- تحليل الوثائق المتعلقة بالعلاقة الثقافية والتعليمية بين البلدين، والأنشطة الممارسة في ضوء الاتفاقيات الموقعة، وتشمل: اتفاق التعاون الثقافي والفني الموقع بين حكومة سلطنة عمان وحكومة

الجمهورية الفرنسية في مسقط في 29 سبتمبر 1979، وبروتوكول تنظيم العمل بالمركز العماني الفرنسي الموقع بين وزارة التربية والتعليم والسفارة الفرنسية في مسقط في 23 سبتمبر 1999، وخطة تخصص البكالوريوس في اللغة الفرنسية والترجمة بجامعة نزوى، وتقرير غير منشور عن مشروع تدريس اللغة الفرنسية بوزارة التربية والتعليم، أعده مكتب دراسات تطوير المناهج بوزارة التربية، ومجموعة تقارير عن نشاط البعثات الاستكشافية الفرنسية في السلطنة، أعدتها دائرة التنقيب والدراسات الأثرية بوزارة التراث والثقافة، وتقارير منشورة وغير منشورة من المتحف العماني الفرنسي بمسقط، وتقارير غير منشورة من المدرسة الفرنسية بمسقط، وبريد إلكتروني من سفارة سلطنة عمان في باريس بالأنشطة الثقافية التي تقوم بها السفارة، وبريد إلكتروني من عالمة الآثار الفرنسية (فلنتينا آزارا– Valentina Azzara)، والمواقع الإلكترونية لوزارة التربية والتعليم، وجامعة نزوى، ووزارة الخارجية الفرنسية، وسفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط، والمركز العماني الفرنسي، والمدرسة الفرنسية.

نشأة العلاقة الثقافية والتعليمية العمانية الفرنسية وتطورها:

تعود نشأت العلاقات الثقافية والتربوية الحالية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية بشكل رسمي إلى 1979، عندما وقعت حكومتا البلدين في مسقط في 29 سبتمبر 1979 (اتفاق تعاون ثقافي وفني)؛ وذلك "رغبة منهما في تنمية علاقات الصداقة بينهما، وتحديد الإطار العام لتعاونهما في الميادين الثقافية والعلمية والفنية على أساس مبدأ الاحترام المتبادل والمساواة في الحقوق"[1]. وشمل الاتفاق ستة ميادين، وهي: التعليم، والثقافة، والبحث العلمي والفني، والطب، وإعداد الأطر والعناصر الإدارية والفنية، وتنمية الموارد الطبيعية والإنتاج الصناعي. وقد نصّ الاتفاق بأن "يتعهد كلا الطرفين ببذل كل ما في وسعهما لتشجيع لغة البلد الآخر وآدابه وحضارته، وتعسى حكومة الجمهورية الفرنسية إلى تطوير تدريس اللغة العربية في مؤسساتها التعليمية، كما تسعى حكومة سلطنة عمان إلى تنظيم وتطوير تدريس اللغة الفرنسية في مؤسساتها التعليمية"[2].

وشمل الاتفاق تقوية الروابط بين الجامعات والمؤسسات التعليمية في البلدين، وتنظيم الدورات التدريبية والبعثات الدراسية، وتسهيل زيارة

---

[1] اتفاق التعاون الثقافي والفني بين حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة سلطنة عمان لعام 1979، ص 1.
[2] السابق، ص 1.

الطلبة والباحثين للمكتبات والمعاهد والمؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية، وتسهيل إقامة المؤسسات الثقافية والفنية والعلمية، وإعداد الأساتذة المتخصصين في تدريس اللغتين العربية والفرنسية، وإيفاد المعلمين لتدريس اللغتين العربية والفرنسية في عمان وفرنسا، وتسهيل قبول الطلبة في المؤسسات العلمية في البلدين، وتقديم المنح الدراسية للطلبة الراغبين في الدراسة في البلد الآخر. ونص الاتفاق كذلك على تقديم التسهيلات المطلوبة للباحثين في مجال الآثار وأعمال التنقيب، وإقامة المعارض المتخصصة في مجال المكتشفات.

وفي مجال التدريب الفني، نص الاتفاق على أن ينفذ البلدان مشاريع بتمويل مشترك، وأن تضع فرنسا تحت تصرف حكومة سلطنة عمان أساتذة وخبراء مهمتهم الاشتراك في الدروس وإعطاء الآراء الفنية في قضايا خاصة، أو تنظيم دورات الإعداد المهني، وأن تساعد فرنسا السلطنة على تنفيذ برامج في البحث العلمي والفني، وأن تخصص منحا للتعاون الفني وتنظيم حلقات ودورات دراسية؛ لإعداد المواطن العماني في مختلف الجوانب الفنية، سواء في فرنسا أم سلطنة عمان. ونص الاتفاق كذلك على تنمية التبادل في مجال الرياضة، وتشجيع التعاون في حقل الإذاعة والتلفزيون وتبادل البرامج، وتشجيع السياحة.

ويرى (جوزف كيتشتشيان- Joseph Kechichian) أن التعاون الثقافي بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية أحد أوجه النجاحات التي تتسم بها العلاقة المتينة بين البلدين. وقد انطلقت سلطنة عمان في إقامة علاقات صداقة ثابتة وراسخة مع الجمهورية الفرنسية من قناعة السلطان قابوس بمكانة فرنسا المميزة عالميا، ودورها الدبلوماسي القوي في مجلس الأمن، ومكانتها في الشرق الأوسط. وتعززت هذه القناعة باعتبار أن العلاقة التاريخية التي ربطت فرنسا بعمان منذ القرن السابع عشر كانت منذ البداية سلمية، وقائمة على الاحترام المتبادل وتغليب مصلحة البلدين والشعبين، بل ونصت اتفاقية 17 نوفمبر 1844 بين عمان وفرنسا على إعطاء شعبي البلدين الأفضلية في المعاملة والتعامل[1]. ومن هذا المنطلق، فإن سلطنة عمان حرصت على ألا تقتصر العلاقة بين البلدين في الإطار الدبلوماسي وحسب، بل شملت كذلك شتى المجالات والجوانب الثقافية والأكاديمية والتربوية، والعسكرية والأمنية، والاقتصادية. وتعززت تلك العلاقة بالزيارة التي قام بها جلالة السلطان قابوس بن سعيد لفرنسا عام 1989، والزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران لعمان عام 1992[2].

---

(1) Kechichian, 1995

(2) المرجع السابق

وقد أكدت (وزارة أوروبا والشؤون الخارجية) الفرنسية في موقعها الإلكتروني على أهمية الجانب الثقافي في العلاقة بين سلطنة عمان وفرنسا، بالقول: "تمثّل الثقافة والتراث المحورين الرئيسين لتعاون فرنسا مع عُمان. وتدعم فرنسا السلطنة في إبراز قيمة تراثها. وقرّرت السلطات الفرنسية والعُمانية الاشتراك في ترميم متحف بيت فرنسا. ويُعدّ السياق مؤات للغاية لتعليم اللغة الفرنسية التي أُدرجت في أربع مدارس ريادية في نهاية المرحلة الثانوية. وسجّلت المدرسة الفرنسية إقبالًا متزايدًا، إذ تضاعف عدد طلابها مرتين في غضون خمسة أعوام. ويستقبل المركز الفرنسي العماني 500 طالب لتعلم اللغة الفرنسية في كلّ دورة"[1].

وبعد اتفاق 1979م، الذي وقعه عن حكومة السلطنة وزير الدولة للشؤون الخارجية، وعن حكومة الجمهورية الفرنسية السفير الفرنسي في مسقط، وتم التصديق عليه بالمرسوم السلطاني رقم (86/94) الصادر بتاريخ 10 ديسمبر 1986[2]، توالت الاتفاقيات الثنائية بين المؤسسات الثقافية والتعليمية بالسلطنة ونظيراتها بالجمهورية الفرنسية، وأنشأت العديد

---

(1) الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية الفرنسية: https://www.diplomatie.gouv.fr/en/country-/files/oman/france-and-oman

(2) المرسوم السلطاني رقم (86/94) بالتصديق على اتفاق التعاون الثقافي والفني بين حكومة سلطنة عمان وحكومة الجمهورية الفرنسية، الصادر بتاريخ 10 ديسمبر 1986.

من المؤسسات لترجمة تلك الاتفاقيات على أرض الواقع الثقافي والتربوي، وتتابع تنظيم المناشط والفعاليات في البلدين نتيجة لذلك التقارب الحضاري وثمرة له.

وعلى صعيد الاتفاقيات، وقعت جامعة السلطان قابوس في 4 إبريل 1994 اتفاقية للتبادل العلمي والثقافي مع المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي، ووقعت اتفاقية تعاون ثقافي مع جامعة فرانوارابش الفرنسية في يوليو 1999. كما وقعت وزارة التربية والتعليم مع السفارة الفرنسية في مسقط في 23 سبتمبر 1999 بروتوكول تنظيم العمل بالمركز العماني الفرنسي. ووقعت الجمعية العمانية للكتاب والأدباء في 17 أكتوبر 2013 اتفاقية تعاون وتواصل ثقافي مع جمعية الكتاب الفرنسيين. ووقعت الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون في 19 سبتمبر 2014 مذكرة تفاهم في المجال الإعلامي مع مجموعة إعلام فرنسا العالمية. ووقعت الهيئة العامة للوثائق والمحفوظات في 7 إبريل 2015 مذكرة تفاهم مع الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي. ووقعت جامعة نزوى في 2015 مذكرة تفاهم مع (جامعة العلوم والإنسانيات والاجتماع- university seinces humaine et sociales- Lille 3)، كما وقعت في 2017 مذكرة تفاهم مع (معهد اللغات والحضارات الشرقية- INALCO).

الدور الثقافي لسفارة سلطنة عمان في باريس:

تضطلع سفارة سلطنة عمان في باريس بتفعيل الاتفاقيات الثقافية والتربوية بين البلدين، ونشر رسالة عمان الثقافية على الأرض الفرنسية، عبر تنظيم الندوات، والمشاركة في الفعاليات الثقافية والعلمية التي تنظمها المؤسسات الفرنسية بالتعاون مع المؤسسات العمانية المعنية. وتقوم السفارة كذلك بتسهيل تبادل الزيارات بين وفود البلدين. ولأداء دورها ومهامها الثقافية والتربوية، أنشأت السفارة بمقرها في وسط العاصمة باريس مكتبة تضم المراجع والمصادر والمنشورات العمانية، وهي مفتوحة للزائرين والباحثين والمهتمين الفرنسيين. كما أنشأت بمقر السفارة قاعة متعددة الأغراض؛ لتنفيذ الفعاليات الثقافية والمحاضرات والندوات والمعارض التي تركز على إبراز الثقافة العمانية، والتعريف بالدور الحضاري لعمان عبر التاريخ، وتفاعل العمانيين مع شعوب العالم وحضاراته وثقافاته.

وعلى صعيد المحاضرات والندوات، نظمت السفارة بالتعاون مع جامعة نزوى في 8 نوفمبر 2016م ندوة بعنوان: (عمان في كتابات الرحالة والمستشرقين)، شارك فيها أربعةٌ باحثينَ منْ سلطنة عمان والجمهورية الفرنسيّة والجمهورية البرتغالية. تطرقت بحوث المشاركين في الندوة إلى إقليم عمان في المصادر العربيّة، وعمان في روايات الرّحالة في العصور الوسطى (من القرن 7 – 15)، والبرتغال في بحر عمان، وروايات

الرّحالة البرتغاليين عن عمان في بداية القرن 17، والقيمة العلميّة والتاريخيّة والثقافيّة لكتابات الرَّحالة والمستشرقين الغربيين عن عُمان. وفي يوليو 2018 أقامت السفارة ندوة تعريفية بأعمال التنقيب الأثري التي شارك في تنفيذها أساتذة الآثار من ثلاث جامعات فرنسية في مدينة أدم، فكشفت عن مقتنيات أثرية تدل على وجود حضاري من العصر البرونزي (القرن التاسع والقرن الثالث قبل الميلاد). ونظمت السفارة في نوفمبر 2014 بالتعاون مع الجمعية العمانية للكتاب والأدباء العمانية وجمعية الكتاب الفرنسيين، ندوة (العلوم المؤسسة للحضارة العمانية). عنيت هذه الندوة بموضوع الوسطية والاعتدال في الفكر العماني، والعلاقات العمانية الفرنسية بجوانبها الاقتصادية والعلمية والأدبية تاريخا وحاضرا، والمرأة في الكتابات الأدبية. وشاركت السفارة بالتعاون مع (المتحف الوطني البحري الفرنسي) في تنظيم معرض (عُمان والبحر) بالعاصمة الفرنسية باريس؛ احتفاء بعلاقات الصداقة الفرنسية العمانية، إذ عرضت فيه سفينة (البدن) التي صنعت في صور قبل 93 عاما؛ وذلك كرمز للتراث العماني البحري الذي يمتد لأكثر من خمسة آلاف سنة. ونظمت السفارة في مايو 2015 بالتعاون مع المصورة ميسا الهوتي، معرض (عمان تحت المجهر) الذي استعرضت فيه المصورة العمانية صورا فوتوغرافية للشعب المرجانية والأسماك النادرة وغيرها من الكائنات التي تزخر بها أعماق البحار العمانية.

وإلى جانب تلك الفعاليات والمناشط، تشارك السفارة في الفعاليات الثقافية التي تنظمها المؤسسات العمانية بالتعاون مع مؤسسات ثقافية فرنسية، فقد شاركت السفارة في استقبال سفينة شباب عمان الثانية التي توقفت أثناء جولتها الأوربية في ميناء لوهافر الفرنسي في سبتمبر 2017. وشاركت السفارة كذلك في فعاليات (جراند بافيوس- Grand Pavios) التي نظمتها وزارة السياحة العمانية بمدينة لاروفير الفرنسية في سبتمبر 2017؛ للترويج للسياحة في عمان بين الشركات السياحية والسيّاح الفرنسيين.

وفي المجال التربوي والتعليمي، تقدم السفارة خدماتها إلى الطلبة العمانيين الدارسين في الجمهورية الفرنسية، أو المشاركين في الفعاليات والمناشط التربوية والثقافية في فرنسا. فحسب إحصائيات السفارة لعام 2017، يوجد في فرنسا 37 طبيبا عمانيا يتدربون في المستشفيات الفرنسية، وخمسة طلاب بمرحلة البكالوريوس يدرسون في الجامعات الفرنسية. وقد شاركت السفارة في حفل تكريم الطالبة العمانية رؤى المعشرية، من جامعة نزوى، التي فازت بجائزة أفضل قصيدة باللغة الفرنسية في الشرق الأوسط في مسابقة (الشعر بحرية) في نسخة 2017 التي أقامتها جامعة السوربون.

الدور الثقافي لسفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط:

تقوم الملحقية الثقافية في سفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط بتنفيذ المهام الثقافية والتعليمية المنبثقة عن اتفاق التعاون الثقافي والفني الموقع بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية في 29 سبتمبر 1979[1]. وتتمثل المهام والفعاليات التي تقوم بها الملحقية في التعاون مع الجهات الثقافية والتعليمية في السلطنة لتدريس اللغة الفرنسية والتعريف بالثقافة الفرنسية، حيث تقدم الملحقية المشورة الفنية والدعم والخبرات البشرية للمؤسسات الأكاديمية والتعليمية بالسلطنة المعنية بتدريس اللغة الفرنسية، وفي مقدمة تلك المؤسسات وزارة التربية والتعليم، وجامعة السلطان قابوس، وجامعة نزوى وكلية الخليج.

وتوفر الملحقية التعليم العام لأبناء الجالية الفرنسية في عمان من خلال (المدرسة الفرنسية) في مسقط، كما توفر تعليم اللغة الفرنسية للعمانيين وأبناء الجاليات المقيمة في السلطنة عبر المركز العماني الفرنسي، الذي تشرف عليه الملحقية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم العمانية. وتقوم الملحقية كذلك بابتعاث الطلبة العمانيين لدراسة اللغة الفرنسية في فرنسا، وابتعاث الأطباء العمانيين للتدريب في المستشفيات الفرنسية.

---

[1] مقابلة مع (كلمنت موتيل- Clément Moutel)، مستشار التعاون والنشاط الثقافي بسفارة الجمهورية الفرنسية بمسقط، 2018/7/4.

وتنسق الملحقية مع وزارة التراث والثقافة البعثات العلمية الفرنسية في مجال التنقيب بالمواقع التراثية والتاريخية، حيث عملت فرق بحثية فرنسية في مواقع تاريخية، منها: أدم، ورأس الحد، ورأس الجنز، ورأس الخبة، والسويح، وسلوت وقريات.

المركز العماني الفرنسي بمسقط:

يمكن أن يُعد (المركز العماني الفرنسي– Centre Franco-Omanais) من أبرز المشاريع الثقافية والتعليمية التي تمخض عنها (اتفاق التعاون الثقافي والفني) لعام 1979. فقد جاء إنشاء هذا المركز تدعيما للتعاون بين حكومة سلطنة عمان وحكومة الجمهورية الفرنسية في مجال الثقافة والتعليم، وتنفيذا للمواد رقم (1) و(2) و(5) من اتفاق التعاون الثقافي والفني الموقع بتاريخ 1979/9/29 بين البلدين، واستنادا إلى ما نصت عليه الفقرة (1/6) من محضر اجتماعات الدورة السادسة للجنة العمانية الفرنسية المشتركة بين الجانبين في باريس بتاريخ 18–19 ديسمبر 1996. وقد وقعت حكومة السلطنة ممثلة في وزارة التربية والتعليم، والحكومة الفرنسية ممثلة في السفير الفرنسي في مسقط على (بروتوكول تنظيم العمل بالمركز العماني الفرنسي) في 23 أكتوبر 1999. وحسب هذا البروتوكول، تتكفل وزارة التربية والتعليم العمانية بتوفير المبنى، والإشراف على أنشطة المركز التعليمية والثقافية، من حيث موافقتها لما

نص عليه البروتوكول، والتأكد من حصول المركز على الموافقات المطلوبة من الجهات المعنية بالدولة لتنظيم البرامج المقترحة وتنفيذها. وتضطلع الملحقية الثقافية بسفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط، ممثلة في وزارة التربية الوطنية الفرنسية، بتوفير الكادر التدريسي والإداري للمركز، وتوفير رواتبهم ومخصصاتهم المالية الأخرى[1]. وتتمثل رسالة المركز الأساسية في تعزيز التعاون بين البلدين في الجوانب الثقافية والتعليمية، وتعريف الجالية الفرنسية بالثقافة العمانية، وتعريف المجتمع العماني بالثقافة الفرنسية، من خلال تدريس اللغة الفرنسية، وتنظيم الفعاليات الثقافية، واستضافة متخصصين من الجهات المعنية؛ لإلقاء المحاضرات والحلقات التدريبية والتعليمية.

وفي مجال تعليم اللغة، يقوم المركز بعقد دورات لتدريس اللغة الفرنسية على مدار العام لفئة الأطفال (من عمر 5-11 سنة)، والمراهقين (من عمر 12-17 سنة). وينظم المركز دورات لتعليم اللغة الفرنسية التخصصية للعاملين في مجالات محددة، مثل: الضيافة، والطب، والقضاء، والسياحة. وينظم المركز كذلك دورات تدريسية للذين يودون التركيز على جوانب معينة من اللغة، كالمحادثة والنحو والأدب، حسب حاجة المتعلم ورغبته. ويحرص المركز على أن تشمل برامجه الموجهة للأطفال الأنشطة التي

---

[1] مقابلة مع المدير العام للمكتب الفني للدراسات والتطوير، وزارة التربية والتعليم، 2018/7/24.

تحبب للطفل تعلم اللغة، كالمسرحيات ولعب الأدوار والتصميم. والمركز هو المؤسسة الوحيدة المعتمدة في السلطنة لتقديم اختبارات اللغة الفرنسية التخصصية، وهي: (DEFL/DAFL, DFP, ProFLE, TEF Canada, TEFAQ)، والتي يحتاجها الراغبون في الهجرة إلى فرنسا أو كندا، أو الباحثون عن عمل، أو مواصلة الدراسة في الجامعات الفرنسية، وهي اختبارات معتمدة من وزارة التربية الفرنسية وغرفة تجارة وصناعة فرنسا. ويقدم المركز برامج تعليمية للراغبين في الحصول على تأهيل في أساليب تدريس اللغة الفرنسية. وكذلك ينظم المركز برامج البعثات الدراسية للطلبة الراغبين في تعلم اللغة في فرنسا؛ وذلك بالتعاون مع معهد (كافيلام) والملحقية الثقافية بالسفارة الفرنسية في مسقط.

وفي المجال الثقافي، ينظم المركز العماني الفرنسي المؤتمرات والندوات، والمعارض الفنية، ومعارض المنتجات الحرفية، والحفلات الموسيقية، والعروض السينمائية، والفعاليات الاجتماعية التي تهدف إلى إيجاد قنوات للتواصل والتفاعل بين أبناء الجالية الفرنسية والعمانيين، وأبناء الجاليات الأخرى في عمان. ولا يقتصر دور المركز في استضافة الشخصيات المشهورة والمرموقة، بل يحرص كذلك على استضافة الشباب المبتدئ والهواة؛ بهدف إشراكهم في الأنشطة والمعارض التي ينظمها،

وإعطائهم الفرصة للبروز أمام المجتمع، وتنمية المهارات والقدرات، والاستفادة من وجهات نظر الزوار والمشاركين المختصين.

وفي مجال الفن، نظم المركز في نوفمبر 2017 معرضا في فن النحت بعنوان (فنتازيا 2)، للأستاذ الأكاديمي بقسم التربية الفنية في جامعة السلطان قابوس الدكتور حسين عبد الباسط حسن، وفي ديسمبر 2017 نظم معرضا للفن التشكيلي بعنوان (الألوان تغني) لأربعة فنانين عمانيين، هم: يوسف النحوي، وصالح العلوي، وريّا المنجية، وميادة ريحان[1].

وفي مجال التاريخ، استضاف لمركز العماني الفرنسي في أبريل 2013، (آكسال غوجول-Axelle Rougeulle)، عالمة الآثار والباحثة بالمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي (CNRS)؛ للحديث عن مشروع الحفريات الأثرية بمدينة قلهات، باعتباره ميناء عمانيا يعود إلى العصور الوسطى. وفي مجال الفكر وحوار الثقافات، نظم المركز في مايو 2016 محاضرة بعنوان (بول ريكور وحوار الثقافات والحضارات)، قدّمها سعادة (رولان دو برتران- Roland Dubertrand)، السفير الفرنسي في مسقط، تطرق فيها إلى إسهام الفيلسوف الفرنسي (بول

(1) http://www.cfoman.org/ar/2017/11/

ريكور- Paul Ricoeur) (1913-2005) في حوار الثقافات والحضارات. وينظم المركز في شهر مارس من كل عام حفل (اليوم الدولي للفرنكوفونية)، وهي مناسبة سنوية يحيها الناطقون بالفرنسية في جميع أنحاء العالم؛ بهدف النهوض باللغة الفرنسية، والتذكير بقيم الفرنكوفونية المتمثلة في الحوار الثقافي والتضامن والرغبة في العيش معا. ولإشراك المرأة العمانية، نظّم المركز في عام 2014، بمناسبة يوم المرأة العمانية، معرضا فنيا بعنوان (أنتِ وأنا، عمانيات) عرضت فيه الفنانة العمانية فخريّة اليحيائية بقاعة المعارض بالمركز، أعمالها الفنية عن المرأة العمانية، حضر هذا المعرض رئيس الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، وسعادة السفير الفرنسي في مسقط[1].

ولقد مر المركز العماني الفرنسي بمراحل نمو وتطور منذ نشأته في ثمانينيات القرن الماضي، وانتقل من مكان لآخر في ضواحي العاصمة مسقط، قبل أن يستقر عام 2003 في مكانه الحالي بمدينة السلطان قابوس على الشارع الشرقي المحاذي لشارع السلطان قابوس، على مسافة قصيرة من المجلس الثقافي البريطاني. فكان المركز في بدايته يشغل أحد الغرف التدريسية بمبنى مدرسة الإمام جابر بن زيد الثانوية بالوطية، ثم انتقل في 1993 إلى مبنى ببيت الفلج، وفي 1995 انتقل إلى مبنى آخر أكثر سعة في الضاحية نفسها بجوار وزارة التربية والتعليم، وانتقل المركز عام

(1) https://om.ambafrance.org

2002 إلى مبنى مؤقت في مدينة السلطان قابوس، بالقرب من المجلس الثقافي البريطاني، ثم بعدها بعام استقرّ في المبنى الحالي[1].

ولتحقيق رسالته وتنفيذ مهامه الثقافية والتعليمية على أكمل وجه، يضم المبنى الحالي للمركز: مكتبة، وقاعة للمعارض، وفصولا دراسية، ومكاتب المعلمين والإداريين. وتوفر مكتبة المركز المصادر التعليمية اللازمة لدارسي اللغة الفرنسية، إضافة إلى المراجع والمصادر الأساسية عن عمان وفرنسا للراغبين في الاطلاع والتعرف على حضارة البلدين وثقافتهما. ويوفر المركز كذلك مكتبة إلكترونية تتيح للمشتركين الولوج إلى المراجع والمصادر العلمية التخصصية. ويعمل بالمركز، إلى حين إجراء الدراسة، سبعة موظفون إداريون: ثلاثة منهم فرنسيون بما فيهم مدير المركز، وثلاثة عمانيون: مسؤول العلاقات العامة واثنين في الاستقبال، وآخر يحمل الجنسية الهندية. فيما يعتمد عدد الأساتذة العاملين بالمركز على عدد الطلبة والدارسين، وهو رقم يختلف من موسم إلى آخر، ففي أثناء إعداد هذا البحث، يعمل بالمركز خمسة مدرسين بعقد ثابت، وثمانية بعقد مؤقت حسب الحاجة إليهم، سبعة منهم فرنسيون وواحد عماني[2].

---

[1] مقابلة مع الأستاذ حسن بن محمد الرمضاني، أستاذ اللغة الفرنسية بالمركز العماني الفرنسي، 2018/7/29.

[2] مقابلة مع (كريستيان دو فيلييه Christian Adam de Villiers)، مدير المركز العماني الفرنسي بمسقط، 2018/7/25.

ولتلبية طلب تدريس اللغة الفرنسية في ضواحي العاصمة مسقط والمدن الأخرى، افتتح المركز العماني الفرنسي فرعا في مدينة صحار؛ باعتبار أن صحار تقع بها مدرستين من المدارس الحكومية التي شملها المشروع التجريبي، الذي طبقته وزارة التربية والتعليم في بداية العام الدراسي 2014/2013م لتدريس اللغة الفرنسية في مرحلة ما بعد التعليم الأساسي، وبها كذلك ثلاث مدارس خاصة تدرس اللغة الفرنسية. ووقع المركز في يونيو 2017 مذكرة تفاهم مع (كلية الخليج) لتدريس اللغة الفرنسية كمادة اختيارية، ولتنظيم دورات في اللغة الفرنسية في حرم الكلية بمنطقة المعبيلة، للذين لا يستطيعون الذهاب إلى المقر الرئيس بمدينة السلطان قابوس. وانطلقت أول دورات اللغة الفرنسية في كلية الخليج في يوليو 2017، مستهدفة الموظفين العاملين في قطاعات الطيران، والتعليم، والتجارة، والمؤسسات الصناعية، إضافة إلى طلبة الكلية الراغبين في الاستفادة من فرصة تدريس اللغة الفرنسية بحرم الكلية؛ لتنمية معرفتهم باللغة ومهاراتهم بها[1]. وتهدف كلية الخليج من هذه التجربة إلى أن تصبح اللغة الفرنسية أحد المساقات الاختيارية المطروحة للطلبة؛ لما تشكله من

---

(1) http://www.gulfcollege.edu.om/Announcements-Events/News-Details/snmid/1635/snmida/1239/snid/134/sname/French-and-Persian-language-courses-on-the-22nd-of-October-2017

أهمية في مجال التواصل في بيئة العمل، وانطلاقا من سعي الكلية إلى رفع المستوى العلمي لخريجيها[1]. وكان المركز قد افتتح في تسعينيات القرن الماضي فرعا في مدينة صلالة، إلا أن العمل فيه توقف لأسباب تمويلية، ولا تزال الرغبة قائمة لإعادة افتتاحه بعد التغلب على المعوقات الحالية.

المدرسة الفرنسية:

تعود نشأت (المدرسة الفرنسية في مسقط- Lycée Français de Mascate) إلى عقد الثمانينات من القرن العشرين؛ وذلك عندما أسست شركة النفط الفرنسية (الف اكيتين- Elf Aquitaine) مدرسةً في مدينة السلطان قابوس لتدريس أبناء الموظفين الفرنسيين العاملين بالشركة. وفي 1995 انفصلت المدرسة عن الشركة لتصبح تحت مظلة (وكالة التعليم الخارجي الفرنسية- l'Agence pour l'enseignement français à l'étranger AEFE)، واستأجرت مبنى جديدا بولاية بوشر ليكون مقرها الجديد بمسقط ولمواكبة الأعداد المتزايدة من التلاميذ. ثم منحت وزارة الإسكان العمانية المدرسة قطعة أرض في (تلال مسقط) بمرتفعات المطار لبناء مقرها الثابت الحالي الذي بدأ التدريس فيه في 8 سبتمبر 2015، وهو مبنى يحتوي على جميع

[1] مقابلة مع الدكتور تقي عبدواني، نائب رئيس مجلس الإدارة وعضو مجلس الأمناء وأحد مؤسسي كلية الخليج، 2018/7/31.

المرافق التي تحتاجها المدرسة الحديثة من فصول دراسية ومختبرات وحوض سباحة وصالات رياضية وقاعة للمعارض[1].

والمدرسة الفرنسية في مسقط، مدرسة غير ربحية تعمل تحت مظلة (وكالة التعليم الخارجي الفرنسية- AEFE)، وهي مؤسسة تربوية حكومية أنشأتها وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية عام 1990، هدفها الأساس توفير التعليم الحكومي الفرنسي لأبناء الجاليات الفرنسية في الخارج، من خلال إنشاء المدارس الحكومية الفرنسية في الدول التي توجد بها الجاليات الفرنسية، والإشراف عليها، والتنسيق مع الحكومات في الدول المضيفة لتأسيس مثل هذه المدارس، وإقامة العلاقات الثقافية والاجتماعية مع المجتمعات المحلية. وتقدم الوكالة في الوقت الحالي خدماتها إلى 494 مدرسة في 130 دولة، بها ما يزيد على 32000 تلميذ، منها 74 مدرسة تقع تحت الإدارة المباشرة للوكالة، في حين ترتبط 156 مدرسة مع الوكالة بعقود لتزويدها بالخدمات التعليمية والإشرافية، وتقترن 264 مدرسة بشراكة مع الوكالة[2].

---

(1) French School of Muscat –School Profile, Lycée Français de Mascate: unpublished report

(2) http://www.aefe.fr/agency-french-education-abroad-0

تمارس الوكالة مسؤولياتها وخدماتها بشكل لا مركزي تجاه المدرسة الفرنسية في مسقط، من خلال الملحقية الثقافية في السفارة الفرنسية بمسقط، ويتمثل دور الوكالة في:

- إدارة الموارد البشرية والدعم المالي الذي تقدمه الحكومة الفرنسية للمدارس الحكومية بالخارج.
- توظيف الكوادر التعليمية والإدارية للعمل بالمدرسة.
- تقويم أداء المعلمين والعاملين بالمدرسة.
- توفير التدريب والتأهيل للمعلمين والإداريين.
- توفير الدعم المالي للمدرسة.
- توفير البعثات الدراسية للطلبة الفرنسيين.
- توفير البعثات الدراسية للطلبة غير الفرنسيين المميزين في دراستهم، والراغبين في مواصلة دراستهم الجامعية[1].

ومن الجانب العماني، تعمل المدرسة الفرنسية تحت مظلة المديرية العامة للمدارس الخاصة بوزارة التربية والتعليم، ووفق القوانين والأنظمة التي تضمنتها (اللائحة التنظيمية للمدارس الدولية الصادرة بالمرسوم الوزاري

---

(1) http://www.aefe.fr/agency-french-education-abroad-0

رقم 4/ 2006)[1]، والتي تم تعديلها بالقرار الوزاري رقم (184/ 2008)، والقرار الوزاري رقم (191/ 2009). وتعرف اللائحة المدرسة الدولية بأنها: (المدرسة الدولية لأبناء المقيمين بالسلطنة)، وتشترط اللائحة التقدم إلى مكتب المدارس الدولية بالوزارة للحصول على التصريح بإنشاء هذا النوع من المدارس[2]. وتنص اللائحة كذلك أن يكون للمدرسة مجلس إدارة مكون من مدير المدرسة، وممثل لسفارة الدولة التي تنتمي إليها، واثنين من ذوي الفكر والكفاءة العلمية ترشحهما السفارة من غير حملة الجوازات الدبلوماسية، وممثلين لأولياء أمور الطلبة[3]. وتحتوي اللائحة على مواد تتعلق بالهيئة التدريسية والإدارية والفنية للمدرسة، ومواصفاتها ومؤهلاتها التعليمية، والكتب والمواد التدريسية، وشؤون الطلبة واللوائح والسجلات، والاحتفالات والأنشطة، وإدارة الشؤون المالية والرسوم الدراسية. وتنص اللائحة كذلك على "أن يلتزم جميع العاملين والمسؤولين

---

(1) اللائحة التنظيمية للمدارس الدولية الصادرة بالمرسوم الوزاري رقم 4/ 2006 http://home.moe.gov.om/arabic/file/top-menu/system/inter-school/2.pdf

(2) اللائحة التنظيمية للمدارس الدولية الصادرة بالمرسوم الوزاري رقم 4/ 2006 http://home.moe.gov.om/arabic/file/top-menu/system/inter-school/2.pdf

(3) القرار الوزاري رقم (191/ 2009)، http://home.moe.gov.om/arabic/file/top-menu/system/inter-school/4.pdf

بالمدرسة بتقديم كافة التسهيلات لموظفي الوزارة والجهات الحكومية المعنية أثناء قيامهم بأعمالهم، وتمكينهم من الاطلاع على كافة السجلات والبيانات والإحصائيات التي يطلبونها"[1].

تقدم المدرسة الفرنسية في مسقط خدماتها التعليمية للتلاميذ من سن الثالثة إلى الثامنة عشر في مرحلة رياض الأطفال والتعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي. وإلى جانب التلاميذ الفرنسيين، يلتحق بالمدرسة دارسون عمانيون وعرب وأجانب لا سيما من لبنان ومصر وتونس والمغرب والجزائر والسنغال، ودول إمريكا الوسطى والجنوبية، والولايات المتحدة الأمريكية وكندا. وحسب إحصائيات العام الدراسي (18- 2017) التحق بالمدرسة (298 تلميذا: 165 أثنى و133 ذكرا) ينتمون إلى 23 دولة، منهم 128 فرنسيا وخمسة عمانيون. ويعمل في المدرسة إلى جانب المعلمين الفرنسيين، معلمون من عدد من الدول العربية والأجنبية؛ ففي العام الدراسي (18- 2017) يعمل في المدرسة 28 معلما من فرنسا وسلطنة عمان وبريطانيا ولبنان والمملكة المغربية وكندا وإسبانيا. وإلى

[1] السابق، ص 11.

جانب الكادر التعليمي يعمل بالمدرسة كادر إداري وفني وفريق من العمال وقادة المركبات[1].

واللغة الفرنسية هي لغة التدريس الرسمية بالمدرسة. وتعطي المدرسة أولوية لتدريس اللغة العربية باعتبارها اللغة الأم للسلطنة، والإنجليزية، بالإضافة إلى اللغات العالمية الأخرى لا سيما الإسبانية. وتتيح المدرسة لطلبتها تقديم اختبارات (الشهادة المهنية- Brevet)، واختبار (الدبلوم العام- baccalaureate)؛ بغرض التأهل للالتحاق بالتعليم الجامعي في فرنسا. ويمارس طلبة المدرسة العديد من الأنشطة الثقافية والتعليمية غير الصفية، كما يقومون بزيارات ميدانية إلى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، والمواقع ذات الأهمية التاريخية والجغرافية والجيولوجية في البلد، مثل: محمية أشجار القرم الطبيعية بالصاروج، وجبل شمس، وحصن نخل، ومتحف النفط والغاز، وإذاعة (تي أف أم- TFM)[2].

---

(1) Statistics for the academic year 2017- 2018, Lycée Français de Mascate: unpublished report

(2) الموقع الرسمي للمدرسة الفرنسية بمسقط: http://www.lfm.om/secondaire،

تدريس اللغة الفرنسية بمدارس التعليم العام الحكومية والخاصة بالسلطنة:

طبقت وزارة التربية والتعليم بسلطنة عمان بدءًا من العام الدراسي 13-2014م مشروعا تجريبيا لتدريس اللغة الفرنسية في مرحلة ما بعد التعليم الأساسي- الصفين الحادي عشر والثاني عشر- في أربع مدارس حكومية- مدرستين للبنين ومدرستين للبنات- بمحافظتي مسقط وشمال الباطنة. واختير لمهمة التدريس ستة معلمين حاصلين على مؤهل جامعي في تدريس اللغة الفرنسية، ممن أبدوا الاستعداد والرغبة للقيام بالمهمة. ووقعت وزارة التربية اتفاقية تعاون مع المركز العماني الفرنسي لتوفير خبير مختص لتدريب المعلمين وتطويرهم مهنيا أثناء الخدمة، والإشراف على أدائهم، وتوفير التوجيه والتغذية الراجعة لهم، وقد خُصص الخميس من كل أسبوع يوما لتنفيذ جلسات تدريبية لهؤلاء المعلمين. وشمل التعاون مع المركز العماني الفرنسي كذلك اختيار الكتب الدراسية، والمصادر التعليمية المساندة التي تعين الطلبة على إثراء مستواهم اللغوي والتحصيلي، فوقع الاختيار في البداية على كتاب (Pourauoipas A1/1 & A1/2) من دار النشر الفرنسية (Maison des langues)، إلا أن اللجنة المشرفة على تدريس المادة قررت بدءا من العام الدراسي 16-2017 استبدال هذا الكتاب بكتاب آخر هو (club@dos

plus)؛ لعدد من الاعتبارات التربوية والتعليمية، منها: مراعات الكتاب الجديد للفئة العمرية، وتغطية المهارات المطلوبة، وطول العام الدراسي. وللوقوف بشكل مستمر على مستوى الطلبة وتقدمهم الدراسي، اعتمدت آلية تجمع بين التقييم المستمر (بنسبة 60%)، والاختبار النهائي (بنسبة 40%)، كما أتيح لطلبة الثاني عشر الجلوس لاختبار (DEFL)، وهو اختبار دولي معترف به كمقياس للمستوى اللغوي، وامتلاك المهارات اللغوية، وتستعمل نتائجه للالتحاق بالدراسات الأكاديمية والعمل[1].

ولتشجيع التلاميذ للالتحاق بالمادة، نفذ اختصاصيو التوجيه المهني بالمدارس المختارة حملة توعية لهم ولأولياء الأمور؛ لتعريفهم بأهمية المادة، والهدف من تدريسها، والتخصصات التي يمكن أن يلتحق بها التلاميذ بعد الحصول على شهادة الدبلوم العام، والجامعات والكليات التي توفر تلك التخصصات. وتشير تقارير وزارة التربية أن تدريس اللغة الفرنسية لقي إقبالا مُرْضِيًا في العام الدراسي 13-2014 في المدارس التي طُبِقَ فيها، إذ انظم إليها (179) تلميذا، (75 ذكرا، 104 إناث)، إلا

(1) تقرير غير منشور لعام 2018 عن تجربة تدريس مادة اللغة الفرنسية في السلطنة، مكتب دراسات تطوير المناهج بوزارة التربية، 2018/7/8.

أن هذا الإقبال تراجع في العام الدراسي التالي 14-2015، ليقف عند 109 تلاميذ من الجنسين[1].

وتدرس اللغة الفرنسية منذ العام الدراسي 01-2002 في تسع مدارس تابعة للقطاع الخاص بمحافظات مسقط، وجنوب الشرقية، وشمال الباطنة (ينظر الجدول رقم 1 التالي). وإن كانت هذه المدارس غير حكومية، إنما يملكها ويديرها أفراد أو مؤسسات أهلية، فلوزارة التربية والتعليم دور في إصدار التصاريح لإنشائها وتشغيلها. وتجتذب المدارس الخاصة، إلى جانب التلاميذ العمانيين، أبناء الجاليات التي تعمل وتعيش في السلطنة؛ لذلك فإن البرامج التعليمية بهذه المدارس، بما في ذلك برامج تدريس اللغة الفرنسية، تصمم لتلبية رغبات أبناء هذه الجاليات. وفي حين أن بعض هذه المدارس تدرس اللغة الفرنسية كمادة أساسية لجميع التلاميذ، تعد الفرنسية في مدارس أخرى مادة إثرائية فقط، لا سيما للطلبة العمانيين، وفي مدارس أخرى تدرس للطلبة الوافدين دون غيرهم. وتدرس اللغة الفرنسية في بعض هذه المدارس منذ المراحل المبكرة (مرحلة رياض الأطفال أو الصف الأول)، في حين تدرس في مدارس أخرى في مراحل متقدمة. وتطبق هذه المدارس مناهج عالمية في تدريس اللغة الفرنسية، بعضها من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، مثل:

---

[1] المرجع السابق.

- United States of America curriculum for French second language.
- Tip top Didier- Oxford tricolore
- Appredre l'alphabet en Francais + Sabis.[1]

[1] السابق.

المحافظة	المدرسة/ بداية التطبيق	الصفوف التي تطبق بها	الهدف من التطبيق/ التلاميذ المستهدفون
مسقط	مدرستي (الخاصة) 14- 2015	من الصف 3 إلى 8	إثرائية – لجميع التلاميذ
	الشويفات 02 – 2001	من الروضة إلى الصف 12	بالنسبة للعمانيين من الصف السابع
	درة الخليج 08 - 2007	من الروضة إلى الصف 8	إثرائية
	السعد العالمية 2015	من الروضة إلى 7	إثرائية
	العمانية العالمية 2008	من الأول إلى 12	إجبارية إلى الصف الثامن
	مسقط العالمية 08 - 2007	من السابع إلى 12	إجبارية للصف السابع واختيارية لبقية الصفوف
شمال الباطنة	صحار العالمية 2006	من الروضة حتى الصف 12	للوافدين فقط
	الباطنة العالمية 10 - 2009	من السادس إلى 12	للوافدين فقط
	علوم المستقبل الخاصة 15 - 2014	من الأول إلى الصف 6	للوافدين اختيارية – إثرائية
جنوب الشرقية	حي الشروق الخاصة 2012	من الرابع إلى 8	لجميع التلاميذ – امتحانات داخلية

المدارس الخاصة التي تدرس اللغة الفرنسية بسلطنة عُمان.

تدريس اللغة الفرنسية في المستوى الجامعي:

يتناول هذا القسم تدريس اللغة الفرنسية في المستوى الجامعي بمؤسستين أكاديميتين، هما: جامعة السلطان قابوس، وهي جامعة حكومية تأسست عام 1986، وجامعة نزوى، وهي جامعة أهلية تأسست عام 2004م حسب القرار الوزاري رقم 1 لسنة 2004م الصادر من وزارة التعليم العالي، وبدأت نشاطها الأكاديمي باستقبالها الدفعة الأولى في 16 أكتوبر 2004م.

تدريس اللغة الفرنسية بجامعة السلطان قابوس:

تدرس اللغة الفرنسية بجامعة السلطان قابوس في قسم السياحة بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، منذ العام الدراسي 01-2002[1]. ويأتي تدريس اللغة الفرنسية لحرص الكلية على إكساب طلبة السياحة القدرة على التحدث بعدد من اللغات العالمية؛ لتلبية احتياجات سوق السياحة في عمان بالكوادر المؤهلة والقادرة على التواصل مع السائح الأجنبي؛ فيدرس طلاب السياحة الفرنسية والإنجليزية والألمانية. وإلى

---

(1) دليل كلية الآداب والعلوم الاجتماعية 2006، http://www.squ.edu.om/Portals/50/prints/cass2018/7/31.bookarabic.pdf?ver=2016-07-21-090829-810

جانب طلاب تخصص السياحة، تجتذب اللغة الفرنسية طلبة التخصصات الأخرى بالجامعة الذين يقبلون على اللغة الفرنسية كمادة اختيارية.

وتقسم مساقات اللغة الفرنسية إلى: (الفرنسية للمبتدئين- France for beginners) و(الفرنسية السياحية- France for tourism). وحدد لمساق (الفرنسية للمبتدئين) ساعتان معتمدتان مقسمة على 45 ساعة تدريسية، ويهدف إلى إكساب الطلبة المعرفة بمبادئ اللغة الفرنسية، والقدرة على التعبير عن الذات والتواصل مع المتحدثين بها في مواقف لا تتطلب مستوى متقدم من اللغة. وأما (الفرنسية السياحية) فتطرح في 6 مساقات، كل مساق له 3 ساعات معتمدة مقسمة إلى 60 ساعة تدريسية. تهدف مساقات (الفرنسية السياحية) إلى إكساب طلاب السياحة القدرة على استعمال اللغة الفرنسية بطلاقة في مواقف متعددة ببيئة العمل السياحي، واستعمالها قراءة وتحدثا وكتابة؛ لإنجاز المهام والأعمال المختلفة التي تسند إلى الموظف في هذا القطاع. ومن هذا المنطلق، فإن آلية التقويم تشمل تسويق عمان كوجهة سياحية، وإعداد البرامج السياحية، وتقديم العرض المرئي أمام مشاهدين يتحدثون اللغة الفرنسية، والإجابة عن تساؤلاتهم، والرد على أطروحاتهم[1].

---

(1) Undergraduate course catallogue 2017- https://www.squ.edu.om/Portals/20/PDF/prospectus/Un

يُدَرّس اللغة الفرنسية بقسم السياحة أساتذة مختصون من الجمهورية الفرنسية والدول التي تتحدث الفرنسية كلغة رسمية أو ثانية. ويتعاون القسم مع المركز العماني الفرنسي، وسفارة الجمهورية الفرنسية، والمؤسسات الجامعية الأخرى التي تدرس اللغة الفرنسية، كجامعة نزوى. ويشمل التعاون تبادل الخبرات والزيارات الطلابية، وحضور الاحتفالات، لا سيما احتفاليات يوم الفرنكوفونية، التي تعد من أهم المناسبات التي تجمع المتحدثين باللغة الفرنسية، والتي تجد دعما من السفارة الفرنسية في مسقط.

تخصص اللغة الفرنسية والترجمة بجامعة نزوى:

يدرس تخصص اللغة الفرنسية والترجمة بجامعة نزوى بمستويي الدبلوم والبكالوريوس. وجامعة نزوى هي الجامعة الوحيدة في سلطنة عمان التي تتيح للدارسين تخصصا أكاديميا في اللغة الفرنسية والترجمة. واستقبلت الجامعة أول دفعة من طلبة اللغة الفرنسية والترجمة في شهر أكتوبر 2004، بلغ عددهم آنذاك 15 طالبا. ومنذ بداية الدراسة في الجامعة في 2004 وحتى فصل الخريف 17-2018، التحق بتخصص اللغة الفرنسية والترجمة، حسب إحصائيات قسم القبول والتسجيل بالجامعة، 274 طالبا

---

dergraduate%20course%20catalogue_2017.pdf?ver=20 17-04-18-103243-860، 2018/7/31.

من الجنسين (12 ذكرا، 225 أنثى)، أكمل 190 طالبا درجة البكالوريوس، في حين تخرج 84 طالبا بمستوى الدبلوم.

وللاضطلاع بالمهام الأكاديمية والإدارية لتدريس تخصص اللغة الفرنسية والترجمة، أنشأت الجامعة شعبة اللغة الفرنسية التابعة لقسم اللغات الأجنبية بكلية العلوم والآداب، الذي يشمل تحت مظلته كذلك شعبتي اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية. وكلية العلوم والآداب معنية بالتخصصات والبرامج اللغوية والإنسانية والعلمية، وتعمل على تلبية احتياجات المجتمع من الخريجين المؤهلين للإسهام في ميادين التنمية في المجالات المعنية بها، لا سيما اللغات والترجمة والتعليم. وترتبط الكلية بعلاقات شراكة استراتيجية مع جامعات ومؤسسات عالمية ومحلية، مثل وزارة التربية والتعليم؛ وذلك بهدف تدريب الطلبة أثناء الدراسة، باعتباره جزءا رئيسا من خطة دراسة الطلبة في جميع التخصصات بالكلية [1].

يأتي تدريس تخصص اللغة الفرنسية من نظرة جامعة نزوى إلى اللغة كوسيلة للتواصل وتبادل المعلومات، والتفاعل، والتعبير عن الرغبات، والمشاعر، والآراء. كما أنها توجد الحاجة للتعلم، وتكشف عن أهميته.

---

(1) الموقع الإلكتروني لجامعة نزوى، http://www.unizwa.edu.om/index.php?contentid=751، 2018/8/4.

واللغة الفرنسية هي ثاني أكثر لغة يتم تدريسها حول العالم بعد الإنجليزية، وتتحدث بها أكثر من أربعٍ وعشرين دولة في خمس قارات. وإضافة إلى ما سبق، اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للعديد من المنظمات الدولية، بما في ذلك الأمم المتحدة، واللجنة الأولمبية الدولية، وغيرها[1].

ويهدف طرح تخصص اللغة الفرنسية والترجمة على مستويين (الدبلوم والبكالوريوس)، لمراعات ظروف الطلبة وتلبية رغباتهم، فمنهم من ليست لديه المقدرة على تكملة الدراسة حتى مستوى البكالوريوس ومدته خمس سنوات، بل يكتفي البعض بالحصول على الدبلوم الذي يتطلب ثلاث سنوات من الدراسة فقط.

يتطلب الحصول على درجة البكالوريوس في تخصص اللغة الفرنسية والترجمة 132 ساعة معتمدة مقسمة إلى: 63 ساعة للمساقات الأساسية، 24 ساعة للمساقات الاختيارية ومتطلبات الكلية، 24 ساعة لمتطلبات الجامعة. ويتطلب الحصول على الدبلوم في اللغة الفرنسية والترجمة إكمال 72 ساعة معتمدة، منها 48 ساعة للمساقات الأساسية والمواد الاختيارية ومتطلبات الكلية، وجميعها تطرح باللغة الفرنسية، في حين أن

---

(1) الموقع الإلكتروني لجامعة نزوى، http://www.unizwa.edu.om/index.php?contentid=180&lang=ar، 2018/8/4

24 ساعة مخصصة لمتطلبات الجامعة، وهي تدرس بلغات أخرى غير الفرنسية. وتشمل المساقات الأساسية: مبادئ اللغة الفرنسية، والتواصل باللغة الفرنسية، ومهارة الكتابة، والنحو التطبيقي، والأدب الفرنسي، وعلم الصوتيات، والحضارة والتاريخ، واللغويات الاجتماعية، والأسلوبية، والترجمة، والترجمة الفورية، وجميعها تدرس باللغة الفرنسية. فيما تشمل متطلبات الجامعة: اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، ومهارات التواصل، والحاسب الآلي، والمبادرة، وبعض هذه المواد تدرس باللغتين العربية والإنجليزية[1].

يلتحق طلاب اللغة الفرنسية والترجمة ببرنامج صيفي في مدينة (فيشي- Vichy) الفرنسية، تنظمه الجامعة بالتعاون مع السفارة الفرنسية في مسقط؛ يهدف إلى رفع المستوى اللغوي للطلبة، وتعريفهم بثقافة اللغة التي يدرسونها في بيئتها الأم[2]. وينفذ البرنامج الصيفي (معهد كافيلام- Cavilam)، وهو مركز متخصص في تعليم اللغة الفرنسية،

---

(1) University of Nizwa, Department of Foreign languages, Degree Plan for B.A. in French and Translation: http://www.unizwa.edu.om/index.php?contentid=180&lang=en

(2) رسالة إلكترونية ومقابلة مع سيرج جابير (Serge Gabarre)، مدير شعبة اللغة الفرنسية بجامعة نزوى، 2018/5/24.

وتأهيل المعلمين، وإجراء الأبحاث التربوية واللغوية، ويقع على مقربة من وسط مدينة فيشي ذات المعالم التاريخية والثقافية، التي تقدم صورة نموذجية عن واقع الحياة الفرنسية. ويوجه هذا البرنامج الطلبة للإقامة مع أسر فرنسية؛ لممارسة اللغة وتعلمها في بيئتها الأصلية، والتعرف على الأسرة الفرنسية وثقافة المجتمع وأسلوب حياته. إضافة إلى ذلك، يلتقي الطلبة بمجموعات طلابية من الدول الأخرى الذين التحقوا للدراسة بالمعهد[1].

يقوم بمهام التدريس بشعبة اللغة الفرنسية أساتذة مختصون في علوم اللغة الفرنسية والترجمة. ففي العام الأكاديمي 17-2018، حاضر بهذه الشعبة 6 أساتذة: ثلاثة من فرنسا، وواحد من جمهورية جزر القمر، واثنان من الجمهورية التونسية. ومع مهامهم التدريسية، لأساتذة شعبة اللغة الفرنسية أنشطة أكاديمية متنوعة، واهتمامات بحثية متعددة، مدفوعين بما توفره سلطنة عمان- بيئة وثقافة، من إمكانات وموضوعات، لا سيما في مجال الترحال واللهجات واللغات. فالأستاذ علي منوبي، أستاذ الترجمة واللغويات بالشعبة، يعمل على إنجاز بحث لساني باللغة الفرنسية، يعنى بلغة (الهوبيوت) المتحدثة في ظفار. والهوبيوت من لغات جنوب الجزيرة العربية الحديثة، أو اللغات السامية الشرقية، وتشمل: المهرية والشحرية والهوبيوت، والحرسوسية والبطحرية والسقطرية. الدراسة تبحث في الهوبيوت

(1) https://www.cavilam.com/en/

بصورة متكاملة، ظواهرها الصوتية والصرفية والتركيبية؛ لتقارنها بالمهرية اللغة الأخرى الأقرب منها. وتعد اللغات السامية الشرقية من اللغات المهددة بالانقراض بسبب تناقص عدد الناطقين بها؛ فمن هذا المنطلق، نال هذا المشروع البحثي اهتمام جامعة السوربون، يقول الباحث: [منذ قدومي للعمل في جامعة نزوى قبل ثلاث سنوات، ذهلت وأعجبت بالتنوع اللغوي في السلطنة، خاصة على مستوى اللهجة العمانية، التي تختلف من منطقة إلى أخرى. وحبي وشغفي للبحث في اللغات واللهجات جعلني أبحث أكثر في هذا المجال، فاكتشفت وجود اللغات الظفارية، وحاولت قراءة كل ما هو متوفر من بحوث وكتابات عن هذه اللغات، فوجدت الكثير من البحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية والعربية لباحثين إنجليز وفرنسيين وعرب وعمانيين. فتواصلت مع الباحثين الفرنسيين وأبديت رغبتي للبحث في لغة الهوبيوت؛ بسبب قلة البحوث في هذه اللغة بالذات، مقارنة باللغات الأخرى التي حظيت باهتمام أكثر. فدعيت لحضور ندوة في باريس في سبتمبر 2017، قامت بها الوكالة الوطنية للبحث العلمي من خلال المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، وطرحت فكرة مشروعي البحثي، والذي وجد القبول، وحظي بالتشجيع الكبير من المختصين في

هذه الندوة، وتكفل بالإشراف عليه أساتذة فرنسيون مهتمون باللغات الشرقية][1].

ترتبط شعبة اللغة الفرنسية بعلاقات أكاديمية مع عدد من المؤسسات الأكاديمية والتربوية داخل السلطنة وخارجها، لا سيما الملحقية الثقافية بسفارة جمهورية فرنسا في مسقط، والمعهد العماني الفرنسي. وخارج السلطنة، أقامت الشعبة علاقات مع (معهد اللغات والحضارات الشرقية، إنالكو – Institut national des langues et civilisations orientales INALCO) بباريس، و(مركز كافيلام) لتعليم اللغة الفرنسية بمدينة فيشي الفرنسية. ومعهد إنالكو، الذي يعود تأسيسه إلى عام 1669، وهو مؤسسة أكاديمية تندرج تحت مظلة جامعة السوربون، ويعنى بدراسة حضارات الشرق الأوسط ولغاتها، وتخريج المختصين في العلاقات الدولية، واللغة، والحاسب الآلي، والتجارة الدولية. وتكللت العلاقة بين المؤسستين بالزيارة التي قام بها وفد من (إنالكو) إلى جامعة نزوى عام 2017؛ للاطلاع على تجربة الجامعة في تدريس اللغة الفرنسية، وبحث سبل التعاون في مجال البحث الأكاديمي والتبادل الطلابي. وقام وفد

[1] مقابلة مع الأستاذ علي منوبي، أستاذ الترجمة واللغة الفرنسية بجامعة نزوى، 2018/7/7.

من شعبة اللغة الفرنسية في العام نفسه بزيارة مقر المعهد في باريس؛ لتعزيز التعاون والتكامل الأكاديمي[1].

يشارك طلاب شعبة اللغة الفرنسية في فعاليات ومناشط ثقافية ولغوية غير صفية داخل الجامعة وخارجها؛ بهدف تنمية قدراتهم اللغوية ومهاراتهم ومعارفهم، ليصبحوا قادرين على إثبات وجودهم في سوق العمل وعالم الوظيفة. وتشمل الأنشطة غير الصفية داخل الجامعة برامج ثقافية يتناوب على إعدادها والإشراف عليها أساتذة الشعبة؛ بحيث تتيح للطلبة ممارسة اللغة الفرنسية مع بعضهم البعض ومع أساتذتهم، وقراءة الكتب، وكتابة النصوص المسرحية والشعرية، وتنفيذها على خشبة المسرح. وتنظم الشعبة لطلبتها زيارات إلى المؤسسات الأخرى المعنية بتدريس اللغة الفرنسية في عمان، مثل المركز العماني الفرنسي بمسقط، وقسم اللغة الفرنسية بجامعة السلطان قابوس، والمتحف الفرنسي[2].

ومن بين أبرز المشاركات الخارجية التي قام بها طلاب الشعبة، المشاركة في مسابقة (الشعر بحرية)، وهي مسابقة عالمية أطلقها الشاعر والأكاديمي الفرنسي جون مارك مولار، وتنظمها وزارة الثقافة والتعليم الفرنسية وجامعة السوربون. وقد فازت الطالبة رؤى بنت سالم المعشرية

---

[1] مقابلة مع مدير شعبة اللغة الفرنسية بجامعة نزوى، 2018/5/24
[2] المرجع السابق

بجائزة أفضل قصيدة كتبت باللغة الفرنسية على مستوى الشرق الأوسط في هذه المسابقة في عام 2017. ويعد هذا الفوز إنجازا كبيرا للطالبة نفسها ولشعبة اللغة الفرنسية ولجامعة نزوى؛ نظرا للمنافسة الشديدة بين المشاركين، والشروط الفنية الصعبة للمسابقة، والتي توجب أن يكون حجم القصيدة ثلاثين بيتا. وحظي إنجاز الطالبة في هذه المسابقة بتغطية إعلامية واسعة من وسائل الإعلام المحلية؛ حيث كتبت عنها الصحف المحلية، وأجرى تلفزيون سلطنة عمان لقاء معها، واستقبل سفير سلطنة عمان في باريس الطالبة في مكتبه بمقر السفارة لتهنئتها بالفوز، وتلقت الجامعة رسالة تهنئة من الأمانة العامة لمجلس التعليم، تبارك للطالبة الحصول على هذا المركز المتقدم، وتتمنى للجامعة وشعبة اللغة الفرنسية مزيدا من الإنجازات الأكاديمية والثقافية المميزة[1].

يعمل خريجو شعبة اللغة الفرنسية والترجمة في سوق العمل المحلية، إذ تشير إحصائيات مركز التوجيه الوظيفي والتواصل مع الخريجين بالجامعة، إلى أن بعض الخريجين تمكنوا من الحصول على عمل في قطاعات التعليم، والسياحة، والتجارة، والبنوك؛ فعمل بعضهم في المتحف الوطني، وهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، ومطار مسقط، والمدرسة الفرنسية بمسقط،

[1] مقابلة مع الخريجة بجامعة نزوى رؤى المعشرية، 2018/7/2.

والمركز العماني الفرنسي[1]. ومع ذلك، يشكل حصول الخريجين على الوظيفة المناسبة أحد أهم التحديات؛ فسوق العمل المحلية بها عدد محدود من الفرص لتوظيف المختصين في الترجمة الفرنسية. وللتغلب على هذه الإشكالية، قد يحتاج الخريجون إلى جانب مؤهلهم الجامعي في مجال اللغة الفرنسية والترجمة، برامج تأهيلية في مجالات أخرى غير اللغة والترجمة؛ حتى يتمكنوا من المنافسة في سوق العمل على وظائف تجمع بين اللغة الفرنسية ومجالات أخرى، مثل: التربية والتعليم، أو التجارة، أو السياحة.

التعاون بين وزارة التراث والثقافة والبعثات الفرنسية في مجال التنقيب والدراسات الأثرية:

التنقيب عن الآثار، ودراسة المواقع الأثرية بالسلطنة، يمكن تصنيفه كأحد أهم مجالات التعاون وأكثرها نشاطا بين سلطنة عمان والمؤسسات البحثية والعلمية في الجمهورية الفرنسية. فقد نشأ هذا التعاون منذ ثمانينيات القرن الماضي، ولا تزال البعثات العلمية الفرنسية تعمل في مواقع أثرية بعدة محافظات بالسلطنة، أبرزها: الداخلية، والوسطى، والشرقية جنوب، والشرقية شمال؛ بهدف التعرف على الوجود البشري في هذه المناطق في العهد الحديدي والعهد البرونزي والتحولات الكبرى في

---

[1] إحصائية من مركز التوجيه الوظيفي والتواصل مع الخريجين بجامعة نزوى، 2018/7/5.

حياة الإنسان خلال ذلك العصر القديم، وحضارة مجان وأبعادها الاجتماعية والتجارية. ومشاريع التنقيب والمؤسسات الفرنسية القائمة بها هي:

1- مشروع مشترك بين لمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي (CNRS)، وجامعة بولونيا الإيطالية. ترأس الفريق البحثي في البداية البروفسور (سيرج كلوزو- Serge Cleuziou)، ممثلا للمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي، والبروفسور (موريزيو توسي- Maurizio Tosi) من الجانب الإيطالي.

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: بدأ المشروع في 1985 في جنوب الشرقية، وشمل ولاية صور: موقع رأس الجنز، وموقع رأس الحد. ولاية جعلان: موقع السويح، وموقع رأس الخبة. وتثبت الحفريات التي قام بها الفريق في رأس الحد وجود نشاط بشري في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد، معتمدا بشكل أساس على حياة البحر، وصيد الحيوانات البرية، كالغزلان. وتدل الموجودات الفخارية المستوردة من السند، على حدوث تواصل عبر البحر مع القارة الهندية[1]. وفي رأس الجنز، تدل الاكتشافات على أن المنطقة كانت مأهولة في بداية العصر البرونزي، والمرحلة الأخيرة من حضارة أم

(1) Cattani, Maurizio (2015) & Borgi, Federico (2015)

النار (2000- 2100 ق م)، وهي بداية مرحلة تحول حضاري في المنطقة، أدت إلى ما يعرف لدى علماء الآثار بمرحلة (وادي سوق) الأكثر استقرارا حضرياً[1].

2- مشروع المركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي(CNRS) ، رئيس الفريق البروفسور (فينست كاربنتر- (Vincent Charpentier.

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: مشروع لمسح السواحل العمانية من محافظة جنوب الشرقية إلى محافظة ظفار. انطلق عام 2010؛ بهدف التعرف على ظهور المجتمعات البدائية، وتحولها من مجتمعات تمارس الصيد فيما يعرف بعصر (البيستوسين- أو العصر الجليدي الأقرب)، إلى مجتمعات أكثر تطورا في بداية العصر البرونزي (1000-2000 قبل الميلاد). وقد تمكن الفريق البحثي من تحديد مواقع أثرية تعود إلى تلك العصور في الدهاريز، وحاسك، والحلانيات، والشويمية، ورأس مدركة، وبر الحكمان، ومصيرة، والسويح[2].

---

(1) Azzara, Valentiana & Rorre, Alexendre (2018)

(2) Charpentier, Vincent (2015)

3- مشروع معهد السهول والصحراء الفرنسي (institut des desert et des steppes)، رئيس الفريق البحثي الدكتور (كريستوف سيفين ألوت Christophe Sévin-Allouet).

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: هدف المشروع إلى القيام تصوير جوي، ومسح ميداني، وتنقيبات أثرية في ولاية صور، شملت (خور جراما) و(أصيلة)، و(شياع). توصلت البعثة إلى أن موقع أصيلة يعود إلى العصر الحديدي، وهو بمثابة قلعة مبنية على جبل مطل على مساحة واسعة من الأرض. ويحتوي خور جراما على مدافن مبنية بشكل دائري، بها بقايا بشرية وخرز تعود إلى حقبة أم النار أو وادي سوق[1].

4- مشروع معهد السهول والصحراء، بالتعاون مع المركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي (CNRS)، والمركز الفرنسي للدراسات الأثرية والاجتماعية (CEFAS). رئيس الفريق البحثي الدكتور (أوليفا مونوز- Oliva Munoz).

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: تنقيبات أثرية في موقع (شياع) بولاية صور. توصلت البعثة إلى أن الموقع شاهد على وجود حضاري شغل المنطقة مدة

---

(1) Sévin-Allouet, Christophe (2018)

طويلة منذ العصر البرونزي، ويحتوي على مقابر شبيهة بمقابر حفيت، كما يدل على تبادل حضاري، وشبكات من التواصل البحري والبري[1].

5- مشروع المركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي (CNRS)، رئيس الفريق البحثي الدكتورة (فلنتينا آزارا- Valentina Azzara).

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: قام الفريق بتنقيبات في موقع (رأس الجنز 3)، هدفت إلى التعرف على المجتمع البشري الذي استوطن رأس الجنز في بداية العصر البرونزي؛ كنموذج على التحولات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى في ذلك العصر. وأثبتت الحفريات وجود مستوطنات بشرية من بداية العصر البرونزي امتدت إلى حقب متأخرة[2].

6- مشروع جامعة السوربون والمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي. ترأس الفريق البحثي من الجانب الفرنسي البروفسور (سيرج كلوزو- Serge Cleuziou) ممثلا للمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي، والبروفسور (موريزيو توسي- Maurizio Tosi) من الجانب الإيطالي.

---

(1) Munoz, Oliva (2018)

(2) Azzara, Valentina (2018)

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: قام الفريق بتنقيبات أثرية في موقع (المضمار) بولاية أدم، وموقع (سلوت) بولاية بهلاء. وقد تأسست مشاريع البعثات الفرنسية للتنقيب الأثري في أدم على يد البروفسور (سيرج كلوزيو- Serge Cleuziou) في 2006؛ إثر اكتشاف صخرة منحوتة تعود إلى حقبة أم النار. وبدأت أول المشاريع البحثية في العام التالي بإشراف البروفسيورة (جسيكا جيراد- Jessica Jiraud)؛ بهدف وضع خطة متكاملة لدراسة المنطقة. حصلت البعثة الفرنسية على الدعم التام من قبل وزارة التراث والثقافة ووزارة الخارجية الفرنسية، واستمرت أعمال التنقيب 5 سنوات، خرجت في نهايتها بتوصيف كامل عن تاريخ أدم، منذ ما قبل التاريخ وحتى ما قبل الإسلام. ونشرت الدراسات التي خرج بها الفريق في عمان وخارجها، فمن أهم تلك المنشورات في هذا المجال كتاب (ترويض الصحراء العظمى: أدم فيما قبل التاريخ العماني)[1]؛ وبذلك يمكن القول إن أعمال التنقيب في أدم من أكبر المشاريع التي قامت بها البعثات الفرنسية في عمان.

وتؤكد أعمال التنقيب في (سلوت) أن الموقع يعود إلى العصر البرونزي، القرن الثالث قبل الميلاد؛ وبذلك فإن الموقع يمكن أن يعد أقدم الحصون في عمان، وأحد المراكز النشطة في حضارة مجان وتجارة النحاس

(1) Gernez, Guillaume & Giraud, Jessica, (Eds.) (2017).

مع الهلال الخصيب[1] . وقامت جامعة السوربون كذلك بمسوحات ودراسات أثرية على طول الساحل الممتد من ولاية قريات إلى ولاية صور.

7- المركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي (CNRS)، رئيس الفريق البحثي (الدكتور أكسل روجل Dr Axelle Rougeulle).

نطاق المشروع وأبرز نتائجه: قام الفريق بتنقيبات في موقع (قلهات) بولاية صور: وصف أكسل روجل قلهات بأنها: "واحدة من أكثر المواقع الأثرية إبهارا في عمان، فقد كانت قلهات الميناء الرئيس في شرق شبه الجزيرة العربية في القرون الوسطى، وكانت شقيقة مدينة هرمز بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، إلا أنها هجرت بعد ذلك ولم تعمر أبدا"[2]. وقد بدأت البعثة الفرنسية أعمالها التنقيبية في الموقع في ديسمبر 2008، وأدت إلى تسجيل أكثر من مئتي مبنى، بما فيها مسجد بيبي مريم الشهير، وتسجيل أكثر من 1600 قبر، ورسم خارطة دقيقة بالموقع ومحتوياته،

---

(1) https://whc.unesco.org/en/tentativelists/5939/

(2) Rougeulle, A. (2010). The Qalhāt Project: New research at the medieval harbour site of Qalhāt, Oman (2008). Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 40, 303-319. Retrieved from http://www.jstor.org/stable/41224030. ص 303.

وأجزاء المدينة القديمة، وبواباتها الرئيسة[1]. وقد أدت أعمال التنقيب أخيرا إلى تسجيل قلهات الأثرية في قائمة اليونيسكو للمواقع التراثية العالمية.

إضافة إلى تعزيز التعاون العلمي بين عمان والمؤسسات البحثية والأكاديمية الفرنسية، وإنشاء الشراكة البحثية بين الجامعات والمؤسسات الفرنسية نفسها، وإشراك مجموعات كبيرة من المختصين والطلبة الفرنسيين في أعمال التنقيب في عمان، حققت البعثات الفرنسية إنجازات علمية ضخمة في مجال التنقيب عن الآثار والتعريف بالوجود البشري في حقب تاريخية طمسها الزمن وغابت عن الذاكرة، وقدمت إلى الحقل المعرفي مادة علمية أصبحت في متناول المختصين والباحثين والمهتمين بالتراث والمواقع الأثرية. وقد حرصت وزارة التراث والثقافة على نشر خلاصات تلك الجهود العلمية في سلسة (الدراسات العمانية- the journal of Oman studies)، وهي مجلة محكمة تأسست سنة 1975، تعنى بنشر الدراسات والأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات التراث الطبيعي والثقافي المرتبط بالسلطنة. وتنشر الوزارة كذلك التقارير العلمية التي تقدمها البعثات إلى الوزارة في سلسلة تحمل (نوافذ على الماضي- windows on our past)، وهي تقارير تفصيلية عن نشاط بعثات التنقيب في عمان، واكتشافاتها ونتائجها. إضافة إلى ذلك، ينشر العلماء والأساتذة

---

[1] المرجع السابق.

المشاركون في بعثات التنقيب البحوث والدراسات في الدوريات العلمية العالمية، ويشاركون بها في المؤتمرات العالمية المتخصصة؛ مما أعطى أعمال التنقيب التي قاموا بها في عمان انتشارا عالميا، وعرّف المختصين بالمواقع التراثية العمانية وما لها من قيمة علمية وتراثية، وانفتاح عمان، ممثلة في وزارة التراث والثقافة، على المؤسسات البحثية العالمية والتعاون معها.

تقول عالمة الآثار الفرنسية (فلنتينا آزارا- Valentina Azzara): "إن مشروع رأس الحد تأسس (Joint Hadd Project- JHP) تحت رعاية وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان في 1985، كمشروع مشترك بين وحدة الشراكة البحثية URA 30, (Unite de Research Associee)، بالمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي (CNRS)، والمعهد الإيطالي للشرق الأوسط والأقصى- istituto italiano per il medio e estremo oriente)، وترأس الفريق البحثي كل من البروفسور (سيرج كلوزو- Serge Cleuziou) ممثلا للمركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي، والبروفسور (موريزيو توسي- Maurizio Tosi) من الجانب الإيطالي. وبعد ذلك تحول هذا المشروع إلى التعاون بين (وحدة البحوث المشتركة- unite mixte de research)، والمعهد الإيطالي

لأفريقيا والشرق- istituto italiano per l'africa e l'oriente) في روما.

ويتمحور المشروع في القيام باكتشافات أثرية في منطقة تبلغ مساحتها 3000 كم مربع تقريبا في نيابة رأس الحد. وقد قامت البعثة بدراسات استكشافية في مواقع مهمة في رأس الجنز (RJ-2)، وكذلك رأس الحد (HD-6)، وخبة (JHB-2). وقد حددت البعثة الآلاف من القبور، وغيرها من المواقع التي تعود إلى ما قبل التاريخ، والمواقع الأحدث من ذلك. وكان مشروع رأس الحد واحدا من أكثر مشاريع الاستكشافات الأثرية إنتاجية في عمان، وقد استمر حتى نهاية عام 2011، أي أصبحت أعمال التنقيب الأثري في رأس الجنز متكاملة"[1].

المتحف العماني الفرنسي بمسقط:

المتحف العماني الفرنسي (Musee Franco-Omanais) أحد ثمار الاتفاقيات الثقافية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية وأحد جوانب التعاون بين البلدين في المجال الثقافي، بل وأحد ثمار التقارب السياسي بين قيادتي البلدين. فقد تم افتتاح المتحف في 29 يناير 1993 تحت الرعاية السامية لحضرة صاحب الجلالة السلطان

(1) رسالة الكترونية بعثتها (فلنتينا آزارا- Valentina Azzara) إلى الباحث بتاريخ 2018/6/26.

قابوس وفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق (فرنسوا ميتران– M. Francois Mitterrrand) في أثناء زيارة الرئيس الفرنسي لعمان؛ ليصبح المتحف معبرا عن متانة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. واختير المبنى المعروف تاريخيا باسم (بيت فرنسا) الواقع في قلب العاصمة مسقط ليكون مقرا للمتحف؛ وهو المبنى الذي اتخذه الجانب الفرنسي مقرا للقنصلية الفرنسية في مسقط منذ تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في 1896م. وبذلك فإن المتحف يجمع بين الدور الثقافي، والبعد التاريخي، والخاصية التراثية؛ لا سيما وأن المبنى هو واحد من عدد قليل من مباني مسقط الذي لا يزال محافظا على هيئته القديمة والمواد التي بني بها عندما شيدته غالية بن سالم ابنة أخ السلطان سعيد بن سلطان قبل قرنين من الزمن[1].

ويعرض المتحف تفاصيل الزيارة التي قام بها جلالة السلطان قابوس إلى فرنسا في مايو 1989، وهي أول زيارة لسلطان عماني إلى فرنسا، والزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي إلى مسقط في يناير 1992. وفي الجانب التاريخي يعرض المتحف العديد من الوثائق التي تعود إلى بداية العلاقات بين البلدين والتبادل التجاري وزيارة السفن التجارية والعسكرية الفرنسية إلى الموانئ العمانية في عمان وشرق إفريقيا. وباعتبار أن العلاقة

[1] المتحف العماني الفرنسي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.

التاريخية بين البلدين ارتبطت بالبحر، فإن المتحف يضم العديد من الوثائق والخرائط القديمة، ونماذج السفن والأدوات والمعدات التي استعان بها البحارة في خوض عباب المحيط الهندي وربط شعوبه ودوله بشبكة من الطرق البحرية التي تنقل الناس والبضائع. ويحتوي المتحف كذلك على صور للدبلوماسيين الفرنسيين الذين تولوا مناصب قنصلية في مسقط، فقد تولى هذا المنصب بين 1894-1920 ثلاثة عشر قنصلا أو نائب قنصل أو رئيس تموينات، منذ (بول أوتافي- Paul Ottavi)- أول قنصل فرنسي يعمل في عمان. ويضم المتحف كذلك صورا فوتوغرافية من الحياة في مسقط التقطتها (لويز بيغن-بيلكوك- Luise Beguin Billecocq)، زوجة القنصل الفرنسي (جان بيغن- بيلكوك- Jean Beguin Billecocq) اللذان عاشا في مسقط في 5-1904.

لا يقتصر دور المتحف العماني الفرنسي على عرض محتوياته على الزوار في صالات العرض السبع الرئيسة، بل يقوم بتنظيم العديد من الفعاليات والمناشط ذات الطابع الثقافي والتعليمي بالتعاون مع الجهات المعنية، لا سيما سفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط والمركز العماني الفرنسي والمؤسسات التعليمية والأكاديمية العمانية التي تعنى بتدريس اللغة الفرنسية. فقد شارك المتحف في برنامج لقاء الخريجين الذي نظمته جامعة نزوى في مايو 2018. ونظم المتحف أمسية ثقافية للأديب الفرنسي

(اوليفه رولين) ونظم معرضا للمصور الفرنسي (لفراديك)، وأمسية ثقافية لموظفي شركة توتال الفرنسية[1].

يجد المتحف إقبالا كبيرا من الزوار لا سيما من السائحين الأجانب وطلبة المدارس. ويشكل الفرنسيون غالبية زوار المتحف من بين الجاليات غير العربية. وحسب إحصاءات 2017، فقد ارتاد المتحف 2366 زائرا منهم: 370 عمانيا، 207 عرب، 1272 غير غرب، 482 طلاب المدارس[2].

وقد وضعت وزارة التراث والثقافة بالتعاون مع الجهات الفرنسية المعنية خطة لتطوير المتحف من حيث المحتوى والدور الثقافي الذي يقوم به. وتشمل الخطة كذلك إدخال تصليحات وإضافات على المبنى الحالي تبرز قيمته التاريخية كبناء تراثي تقليدي. وتشمل الخطط رفع كفاءة المتحف لاستيعاب الفعاليات والمناشط الثقافية والفنية التي ينظمها بشكل دوري[3].

---

(1) لقاء مع مدير التحف العماني الفرنسي، 2018/9/29.
(2) إحصائية بعدد زوار المتحف لعام 2017، غير منشورة، المتحف العماني الفرنسي.
(3) لقاء مع مدير التحف العماني الفرنسي، 2018/9/29.

الخاتمة:

العلاقات الثقافية والتعليمية بين سلطنة عمان والجمهورية الفرنسية متينة ومتنوعة ومثمرة، وقابلة للتطور والتوسع؛ لتغطي مجالات أكثر من التي تشملها في الوقت الحاضر. وتتعزز هذه العلاقات باتفاقيات وقعتها حكومتا البلدين، وترتكز على تقارب سياسي ودبلوماسي بين البلدين، الذين يرتبطان بعلاقة صداقة تاريخية تسعيان للحفاظ عليها وتمكينها. كما تستند هذه العلاقات على مجموعة من اللوائح والبروتوكولات، التي تنظم الخطط والبرامج والنشاطات التي تقوم بها المؤسسات المعنية بالثقافة والتعليم في السلطنة والجمهورية الفرنسية. إضافة إلى ذلك، تلقى الأنشطة الثقافية والتعليمية ومؤسساتها القائمة عليها، الدعم والتشجيع من المسؤولين في البلدين، وتقوم سفارتا البلدين بجهود بناءة لتنفيذ الاتفاقيات، ورعاية المناشط الثقافية التي تهدف إلى التقارب بين الشعبين العماني والفرنسي، والتعريف بثقافتيهما ولغتيهما بين المواطنين والمقيمين في عمان وفرنسا.

ويلقى تدريس اللغة الفرنسية في عمان إقبالا متزايدا على مستوى التعليم العام والتعليم الجامعي، والدورات القصيرة التي ينظمها المركز العماني الفرنسي. وفي حين أن الموظفين الملتحقين لدراسة اللغة الفرنسية في الدورات القصيرة، مدفوعون بحاجتهم إلى الإلمام باللغة الفرنسية والقدرة

على التواصل بها في بيئة العمل، ومدركون لأهميتها لحياتهم الشخصية والمهنية، لا يدرك طلاب التعليم العام هذه الأهمية؛ لذلك تراجع عدد الطلاب الملتحقين بمادة اللغة الفرنسية في المشروع التجريبي الذي طبقته وزارة التربية والتعليم. إضافة إلى ذلك، لا يجد خريجو اللغة الفرنسية والترجمة الوظائف المناسبة لتخصصهم الأكاديمي في سوق العمل المحلي؛ بسبب محدودية الفرص بسوق العمل للطالب الجامعي المتخصص في اللغة الفرنسية؛ ولذلك، فإن التوسع في تدريس اللغة الفرنسية يتطلب توسعا في فرص العمل. وعلى المستوى الجامعي، ينبغي أن تقوم الجامعات العمانية بدراسة إمكانية التوسع في التخصصات الجامعية المعنية باللغة الفرنسية؛ بإضافة تخصص تدريس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية؛ لكي تخرج الجامعات المعلم العماني الذي تحتاجه وزارة التربية والتعليم لتدريس اللغة الفرنسية في مدارسها.

وفي الجانب الثقافي، يتعين تعزيز الدور الذي تقوم به سفارة سلطنة عمان في باريس في تعريف المجتمع الفرنسي برسالة عمان الثقافية؛ وذلك بإنشاء مركز ثقافي وتعليمي، نظيرا للمركز العماني الفرنسي في مسقط، لا سيما وأن اتفاق 1979 ينص على التعاون في هذا المجال. وأن يشمل دور المركز الجديد تدريس اللغة العربية، وتنظيم المحاضرات والمعارض الثقافية، والتعريف برسالة التسامح والسلام العمانية.

ويتعين الإسراع في تطوير المتحف العماني الفرنسي وفق الدراسات والخطط الموضوعة من قبل الجانبين العماني والفرنسي، على أن يتجاوز المتحف دوره الحالي ليصبح نافذة يطل منها الزائر العماني والوافد على الحضارة الفرنسية وإنجازات الشعب الفرنسي التاريخية والعملية والحضارية.

المراجع والمصادر:

الكتب والدراسات السابقة:

Azzar_a VM, De Rorre AP. (2018). Socio-cultural innovations of the Final Umm an-Nar period (c.2100–2000 BCE) in the Oman peninsula: new insights from Ra's al-Jinz RJ-2. Arab Arch Epig. 2018;29:10–26. https://doi.org/10.1111/aae.12095

Gernez, Guillaume & Giraud, Jessica, (Eds.) (2017). Taming the great desert: Adam in the prehistory of Oman. Muscat: Ministry of Heritage and Culture.

Kechichian, J. (1995). Oman and the world. Santa Monica: RAND.

Rougeulle, A. (2010). The Qalhāt Project: New research at the medieval harbour site of Qalhāt, Oman (2008). Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 40, 303-

319. Retrieved fromhttp://www.jstor.org/stable/41224030

وثائق وتقارير منشورة:

المتحف العماني الفرنسي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.

دليل كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس:

http://www.squ.edu.om/Portals/50/prints/cassbookarabic.pdf?ver=2016 -07-21-090829-810 2018/7/31 ،2006.
Undergraduate course catallogue 2017: https://www.squ.edu.om/Portals/20/PDF/prospectus/Undergraduate%20course%20catalogue_2017.pdf?ver=2017-04-18-103243-860
Degree Plan for B.A. in French and Translation. Department of Foreign languages, University of Nizwa: http://www.unizwa.edu.om/index.php?contentid=180&lang=en

وثائق وتقارير غير منشورة:

اتفاق تعاون ثقافي وفني بين حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة سلطنة عمان، وفره للباحث سفارة الجمهورية الفرنسية في مسقط.

المرسوم السلطاني عليه رقم (86/94) بالتصديق على اتفاق التعاون الثقافي والفني بين حكومة سلطنة عمان وحكومة الجمهورية الفرنسية، الصادر بتاريخ 10 ديسمبر 1986.

إحصائية بخريجي اللغة الفرنسية والترجمة، وفرها للباحث مركز التوجيه الوظيفي والتواصل مع الخريجين بجامعة نزوى، 2018/7/5.

تقرير غير منشور لعام 2018 عن تجربة تدريس مادة اللغة الفرنسية في السلطنة، وفره للباحث مكتب دراسات تطوير المناهج بوزارة التربية.

إحصائية بعدد زوار المتحف لعام 2017، غير منشورة، المتحف العماني الفرنسي.

Borgi, Federico (2015). The archaeological site of HD-5 at Ras al-Hadd: report of the second season 2012-2013. Muscat: Ministry of Heritage and Culture.

Cattani, Maurizio (2015). The joint Hadd project: Ras al-Hadd HD-6, 2013 excavation season January-February 2013. Muscat: Ministry of Heritage and Culture.

Charpentier, Vincent. (2015). The shores of the Arabian Sea between 10,000 and 2000: French Archaeological Mission to the Sultanate of Oman season 213. Muscat: Ministry of Heritage and Culture.

Munoz, Oliva. (2018). Preliminary report on the 3rd field campaign of the French Archaeological Expedition to Shiyā (2017-18 Season). Muscat: Ministry of Heritage and Culture.

Sévin-Allouet, Christoph (2018). French Archaeological Mission
of Khor al Jarama. Muscat: Ministry of Heritage and Culture.

Statistics for the academic year 2017- 2018, Lycée Français de Mascate: unpublished report.

French School of Muscat –School Profile, Lycée Français de Mascate: unpublished report.

المواقع الإلكترونية:

الموقع الإلكتروني لجامعة نزوى:
http://www.unizwa.edu.om/index.php?contentid=180&lang=ar

الموقع الإلكتروني للمركز العماني الفرنسي:
http://www.cfoman.org/ar/2017/11

الموقع الإلكتروني لليونيسكو:
https://whc.unesco.org/en/tentativelists/5939/

الموقع الإلكتروني لمركز كافيلام:
https://www.cavilam.com/en/

الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية الفرنسية:
https://www.diplomatie.gouv.fr/en/country-files/oman/france-and-oman

الموقع الإلكتروني لكلية الخليج:
http://www.gulfcollege.edu.om/Announcements-Events/News-Details/snmid/1635/snmida/1239/snid/134/sname/French-and-Persian-language-courses-on-the-22nd-of-October-2017

المقابلات والبريد الألكتروني:

مقابلة مع الأستاذ علي منوبي، أستاذ الترجمة واللغة الفرنسية بجامعة نزوى، 2018/7/7.

مقابلة مع مدير شعبة اللغة الفرنسية بجامعة نزوى، 2018/5/24

مقابلة مع رؤى المعشرية، خريجة اللغة الفرنسية والترجمة، جامعة نزوى، 2018/7/2.

مقابلة مع المدير العام للمكتب الفني للدراسات والتطوير، وزارة التربية والتعليم، 2018/7/24.

مقابلة مع الأستاذ حسن بن محمد الرمضاني، أستاذ اللغة الفرنسية بالمركز العماني الفرنسي، 2018/7/29.

مقابلة مع (كريستيان دو فيلييه Christian Adam de Villiers)، مدير المركز العماني الفرنسي، 2018/7/25.

مقابلة مع (كلمنت موتيل- Clément Moutel)، مستشار التعاون والنشاط الثقافي بسفارة الجمهورية الفرنسية بمسقط، 2018/7/4.

لقاء مع مدير المتحف العماني الفرنسي، 2018/9/29.

رسالة بالبريد الألكتروني بعثتها (فلنتينا آزارا- Valentina Azzara) إلى الباحث بتاريخ 2018/6/26.

العُمانيون وشرق إفريقيا في بعض الدراسات الغربية المعنية بالشأن الإفريقي

يقول المؤرخ البريطاني ويندل فيلبس: "دور العُمانيين الحضاري في شرق إفريقيا أكبر بكثير مما نتوقع"[1]. فمن هذا المنطلق نجد حضورا بارزا لعُمان والعُمانيين في الكثير من الدراسات التاريخية لشرق إفريقيا، وخاصة في الدراسات التي كتبها المؤرخون والباحثون الغربيون. وفي واقع الأمر إن الدراسات الغربية في هذا الموضوع تمثل مصدرا مهما ليس من حيث وفرة المعلومات التي تحتويها عن الوجود العُماني في شرق إفريقيا وحسب؛ وإنما أيضا تنبع أهميتها من المنهج والرؤية التي تنظر من خلالها إلى العلاقة بين عُمان وشرق إفريقيا؛ مما يضيف في حد ذاته بعدا إلى القيمة المعرفية التي تقدمها تلك المصادر التاريخية لعلاقة عُمان بشرق إفريقيا. فعلى سبيل المثال تعدّ دراسة جون ولكنسون[2] "عُمان وشرق إفريقيا: أضواء جديدة على التاريخ المبكر (لكلوة) من المصادر العُمانية"، نموذجا للبحوث الأكاديمية التي عنيت بدراسة المخطوطات العُمانية القديمة التي دونت العلاقة بين عُمان وشرق إفريقيا في القرنين (الثاني عشر والثالث عشر) بعد الميلاد. فأهمية هذه الدراسة لا تنبع فقط من تتبع الوجود

---

(1) Phillips,1967، ص 24
(2) Wilkinson, 1981

العُماني في شرق إفريقيا كما ورد في المخطوطة موضع الدراسة؛ وإنما أيضا من محاولة ربط الباحث لمحتوى تلك المخطوطة بدراسات أكاديمية وتاريخية أخرى اهتمت بتاريخ المنطقة، والعوامل السياسية والاقتصادية والدينية التي وجهت مسير تلك العلاقة؛ لذا فقد أكد (ولكنسون) أن المخطوطات العُمانية محل دراسته تشكل مصدرا مهما لشرق الأفارقة الباحثين في تاريخ منطقتهم في القرنيين (الثاني عشر والثالث عشر) الميلاديين.

ومن جانب آخر نجد أن كتاب (بريطانيا وألمانيا في إفريقيا: الصراع الإمبريالي والحكم الاستعماري) تحرير (بروسر جيفورد ودبليو أم لويس- Gifford, Prosser & Louis, WM. ,1967 Roger)، يبحث في شؤون الشرق الإفريقي في ضوء تصادم بين مصالح القوى العالمية، وقد كان لعُمان والعُمانيين نصيب لا يمكن إغفاله أو التقليل من أهميته في الأحداث الواقعة في الحقبة التي تغطيها تلك الدراسة. فالعُمانيون وبالتعاون مع السكان الإفريقيين هم الذين أخرجوا البرتغاليين من كل معاقلهم الاستعمارية في الساحل الشرقي لإفريقيا مع بداية القرن (الثامن عشر) وأقاموا علاقات متينة مع الأفارقة على طول هذا الساحل، ووصلوا إلى البحيرات العظمى في الداخل الإفريقي. وأما كتاب "التاريخ العام لإفريقيا: دراسات ووثائق" الذي يحتوي على دراسات قدمت في مؤتمر نظمته اليونيسكو الذي عقد في 1974م في (بورت لويس في

موريشوس- Port Louis, Mauritius)[1] ، فإنه خرج في ظل تراجع للدور العُماني في شرق إفريقيا من جانب، وبدء دخول عُمان في مرحلة بناء الدولة العصرية التي وضع أسسها حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في 1970م، لذا فإن المعلومات التي احتواها الكتاب عن الوجود العُماني في هذا الجزء المهم من العالم لا ترقى إلى المستوى الفعلي للحضور العُماني في تلك المنطقة كما تبرزه غيرها من المراجع التاريخية، وكما يشهد له الواقع.

ومما يجب توضيحه هنا؛ أن الدراسة الحالية لا تهدف إلى تطبيق منهجية نقدية أكاديمية للتعامل مع تلك البحوث والمؤلفات؛ فهذا ليس غاية مثل هذا النوع من الدراسات، وإنما تهدف إلى التعرف من خلال محتواها على أبعاد العلاقة العُمانية بشرق إفريقيا والروابط التي جمعت الإنسان العُماني بأخيه الإفريقي منذ أن عرف العُماني ركوب البحر، والإبحار مع الرياح الموسمية إلى شرق إفريقيا. ومما يجدر توضيحه أن اختيار الدراسات والمؤلفات التي تتطرق إليها هذه الدراسة لم يكن وفق آلية تفضيلية معينة سواء أنها كتبت أو نشرت بوساطة كتّاب غربيين اهتموا بتاريخ المنطقة، وأنهم ضمّنوا أعمالهم معلومات تاريخية عن الدور العُماني في شرق إفريقيا. ولا شك أنه وفي المقابل هناك مصادر وكتب ودراسات

---

(1) UNESCO, 1980

عُمانية وعربية تاريخية ومعاصرة ذات أهمية تاريخية وقيمة علمية تناولت الوجود العُماني في شرق إفريقيا منها على سبيل المثال (مروج الذهب) للمسعودي الذي غادر في عام (922) في سفينة مبحرة من عُمان إلى شرق إفريقية. وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي (1100-1166) الذي كتب عن السفن المبحرة من عُمان إلى الساحل الإفريقي الشرقي. وبتركيز هذه الدراسة على المصادر الأجنبية لا يعد بأي حال من الأحوال تقليل من الأهمية العلمية لتلك المصادر والدراسات والمؤلفات العربية وإنما هي فقط منهجية تتبعها الدراسة؛ لكشف جزءً مما تحتويه الدراسات الغربية حول هذا الجانب من معلومات وحقائق تاريخية.

المحيط الهندي طريق العُمانيين إلى شرق إفريقية:

علاقة العُمانيين بشرق إفريقيا تعود، حسب رأي بعض الباحثين، إلى نحو 6 آلاف عام قبل الميلاد، وذلك عندما نشأت التجمعات الحضرية بجانب البحر في الجزيرة العربية، واتسمت باستعمالها تقنيات إبحار متقدمة ووصلت بسفنها إلى (قناة موزمبيق) وما بها من جزر، وهي أقصى نقطة في الساحل الإفريقي يمكن أن يصل إليها البحارة المدفوعون بالرياح الموسمية من شمال المحيط الهندي إلى جنوبه.

ولا يشك الباحثون أن التجارة البحرية في المحيط الهندي أصبحت أكثر انتظاما بدءا من القرن (السادس) قبل الميلاد وذلك بعد أن بدأت

تظهر الإمبراطوريات القديمة التي قامت بالتوسع خارج أطرها الجغرافية؛ فالمخطوطة اليونانية (قاموس المحيط الهندي- Periplus Maris Erythraei) التي تعود كتابتها إلى نحو (30) أو (70) بعد الميلاد إحدى المصادر التاريخية التي تثبت وجود تجارة بحرية رائجة في المحيط الهندي، والراجح أن مؤلف الكتاب (هيبالس- Hippalus) مصري من أصول يونانية سكن على البحر الأحمر، وقد استفاد من خبرات البحارة العرب القاطنين على المحيط الهندي، ومعرفتهم بالرياح الموسمية[1]. فالكتاب يقدم معلومات لآليات الاستفادة من الرياح الموسمية لنقل البضائع بين شرق إفريقيا وشرق آسيا ومنطقة البحر المتوسط، إضافة إلى تقديمه وصف للموانئ المنتشرة في هذه المنطقة ومنها مدينة (منوثياس- Hippalus) التي يُعتَقَدُ أنها زنجبار[2].

وحسب وجهة نظر ويلكنسون (Wilkinson) التي وضحها في دراسته التي تمت الإشارة إليها في المقدمة (Wilkinson, 1981)؛ فإن في حقبة ما قبل الإسلام كان التجار والبحارة العُمانيون منظوين تحت الأنشطة البحرية للدولة الساسانية التي شملت الخليج العربي، والساحل الجنوبي للجزيرة العربية ومكران والسند والهند. وقد أقام البحارة العُمانيون شبكات من العلاقات التجارية استمرت إلى ما بعد الفتح الإسلامي لتلك

---

(1) Phillips, 1967

(2) (McMaster, 1966)

المناطق، لا سيما وأن العُمانيين تربطهم علاقات أواصر وقربى مع كثير من سكان المناطق الواقعة شمال الخليج العربي. فكثير من سكان تلك المناطق ينحدرون من سلالة سلمة بن مالك بن فهم الذي هاجر من عُمان بعد وفاة والده. كما أن هجرة العُمانيين إلى البصرة، حاضرة العالم الإسلامي آنذاك، ومنهم على سبيل المثال المهلب بن أبي صفرة وأتباعه ساعد على الحفاظ على علاقات تجارية متينة مع العراق وأجزاء من إيران وخراسان[1].

وعندما تأسست الإمامة الأولى في عُمان في القرن (الثالث الهجري/الثامن الميلادي) نشأ معها أسطول بحري جعل عُمان فاعلة ومؤثرة في النشاط التجاري البحري ليس في منطقة الخليج حسب، حيث قضى العُمانيون على بوارج القراصنة الذين هددوا التجارة فيه؛ وإنما في منطقة المحيط الهندي كاملة بما في ذلك شرق إفريقيا والهند والصين- ولم تنقطع علاقة البحارة العمانيين بالصين إلا بعد سقوط كانتون في عام 878م. وقد وصل النفوذ السياسي العُماني في هذه الحقبة في الساحل الشرقي لإفريقيا إلى جزيرة سقطرة التي تعود تبعيتها لعُمان إلى زمن الإمام الجلندى بن مسعود في منتصف القرن (الثامن الميلادي). وقد أعاد العُمانيون تأكيد تبعية هذه الجزيرة لقيادتهم في زمن الإمام الصلت بن مالك (كان إماما على عمان من 237-272 هـ) الذي وجه إليها أسطولا بحريا إثر الهجوم

---

(1) Wilkinson, 1981

المسلح الذي قام به النصارى على سكانها المسلمين وذلك في حدود عام 851 و875م. وقد تدعم نشاط الأسطول البحري العُماني في هذه الحقبة بعدد من الاتفاقيات التجارية الدولية التي عقدها العُمانيون مع نظرائهم في البصرة وسيراف ويبول (السند) وعدن وخولتهم لإقامة مراكز تجارية لهم في تلك المناطق. كما أتاح العُمانيون لتجار تلك المناطق ممارسة التجارة في صحار التي أصبحت مركزا تجاريا عالميا للمسلمين وغير المسلمين. وأما الاتفاقيات التجارية مع بعض المناطق غير المستقرة أمنيا في الهند وشرق إفريقيا؛ فقد كان يعاد تجديدها سنويا؛ حفاظا على سلامة البحارة العُمانيين وممتلكاتهم. ولحرص الحكومة المركزية العُمانية على الحفاظ على اتفاقيات السلام مع القوى الدولية فقد حظرت التشريعات على الأفراد العُمانيين بإنشاء حروب عسكرية، بل جعلت تقرير حالة الحرب مع أي قوى معادية من صلاحيات الإمام حصريا. إلى جانب ذلك، نظم العُمانيون علاقاتهم التجارية البحرية بوساطة عدد من التشريعات التي رعى صياغتها وإصدارها الفقيه العُماني محمد بن محبوب الذي شغل منذ 863م وحتى وفاته في 873م منصب القضاء في صحار[1].

وكان العُمانيون، كما يشير وندل فيلبس، قد استقروا بحدود عام 1200م في المدن (المبنية من الحجارة- Stone Townes) المزدهرة

---

(1) Wilkinson, 1981

والمنتشرة بطول ساحل إفريقيا الشرقي ومنها (بيت- Pate)، و(سفالة- Sofala)، و(كلوة- Kilwa)، و(ممباسا- Mombasa)، و(مالندي- Malindi)، و(مقديشيو- Mogadishu)، و(بيمبا- Pemba)، و(زنجبار- Zanzibar)[1]. ويؤكد فيلبس "أن حقبة الألف عام من الوجود العُماني القوي والمزدهر في شرق إفريقيا انقطعت لمدة وجيزة فقط وذلك في أثناء الغزو البرتغالي"[2]. وفي واقع الأمر أنه عندما وصل البرتغاليون إلى الساحل الشرقي لإفريقيا كان العُمانيون إلى جانب استقرارهم في المدن المنتشرة على طول هذا الساحل يجوبون بسفنهم المحيط الهندي مبحرين بين الهند وإفريقيا والجزيرة العربية. وكان البحار العُماني أحمد بن ماجد الذي التقاه البرتغاليون في مالندي "أكثر البحارة في المحيط الهندي جدارة في عصره، وقد ألف بين 1460-1496م أكثر الكتب البحرية انتشارا وقراءة"[3].

وعندما جاء البرتغاليون في 1498 إلى المنطقة، كانت التجارة البحرية في المحيط الهندي يومذاك في أوج ازدهارها، والدول والمدن الواقعة على هذا المحيط في كل من شرق إفريقيا والجزيرة العربية والهند في أحسن حال من الرقي والازدهار. ولم يكن مجيء البرتغاليين إلى منطقة المحيط

---

(1) Phillips,1967

(2) Phillips,1967، ص 28

(3) Phillips,1967، ص 32

الهندي كارثة للعُمانيين حسب؛ وإنما لكل الدول والشعوب الواقعة على هذا المحيط. وكمثال على ما قام به المستعمرون البرتغاليون في تدمير ما كان يتمتع به الساحل الإفريقي من ازدهار حضاري- اقتصاديا وعمرانيا واجتماعيا- تلك الأحداث الأليمة التي شهدتها مدينة ممباسا على يد البرتغاليين بقيادة (دي الميدا- d'Almeida). فقد كانت المدينة- على حسب وصف أحد الكتاب البرتغاليين المرافق للحملة العسكرية- زاخرة، وبها بيوت مبنية بالحجارة، وقصور منيفة، وطرق منظمة؛ فهاجم البرتغاليون المدينة عند طلوع الفجر بأسطول بحري مكون من أحد عشر سفينة كبيرة وثلاث سفن صغيرة فدمروها عن بكرة أبيها، وأشعلوا فيها النيران، ولم يسلم من بطشهم طفل صغير، أو شيخ كبير، أو رجل، أو امرأة، وقد نهبوا من أموالها وثرواتها ما لم يتمكن الناجون من أهل المدينة من إحصائه. وقد أسس البرتغاليون قواعد عسكرية في (ممباسة، وملندي، وكلوه، وبمبا، وانجوجا) منها على سبيل المثال (قلعة المسيح) في (ممباسا) التي أسسوها في 1593م وانطلقوا منها لضرب الدول والشعوب في هذا الساحل الإفريقي، وتدمير مقدراتها، ومقوماتها الحضارية[1].

وبكل تأكيد لم تقتصر همجية البرتغاليين وتعطشهم لسفك دماء الناس والقضاء على الحضارة البشرية والسلم والأمان على شرق إفريقيا،

---

(1) Phillips,1967

بل قاموا بالعمل نفسه في الهند، وفارس، والجزيرة العربية وعُمان نفسها. فعلى سبيل المثال، عندما كان القائد البرتغالي (داجاما- da Gama) في عام 1502م يبحر بأسطوله الحربي البحري المكون من (خمس وعشرين) سفينة قبالة سواحل (كاليكوت- Calicut) الهندية التقى بسفينة مدنية غير مسلحة بها ما يقارب من أربعمائة حاج هندي في طريقهم إلى مكة المكرمة بينهم نساء وأطفال؛ فأمر داجاما بأسر الأطفال والنساء، ثم أمر بإشعال النيران في السفينة بطاقمها والرجال المسافرين بها. وعندما وصل داجاما إلى (كاليكوت) أرسل إليه أميرها راهبا من الطائفة البراهمية، ليعلن له أن أهل المدينة مسالمون؛ فما كان من داجاما إلا أن أسر الراهب، وأمر بقطع أذناه وخيط مكانهما أذنا كلب قطعا من كلب كان على السفينة. ثم أمر داجاما بمهاجمة ستة عشر قاربا وسفينتين متوقفتين قبالة الساحل؛ فجُمع طواقم تلك السفن، وقطعت أنوفهم وآذانهم وأيديهم، ثم وضعوا في قارب واحد، وأشعلت فيهم النيران. كما أمر داجاما أهل المدينة أن يعلنوا اعتناقهم للمسيحية وإلا سيأمر بقتلهم فما كان منهم إلا أن أذعنوا لأوامره وأمر مباشرة أحد قساوسته بتعميدهم. وفي عام 1507م قام القائد البرتغالي (الفونسو دي البوكيرك- Affonso d'Alboqurque) بمهاجمة المدن الساحلية العُمانية، بما فيها مسقط التي كانت تعد حاضرة المنطقة عمرانيا واقتصاديا؛ فعاثت

قواته الغازية تقتيلا في سكان هذه المدن، وهدما لمعالمها وإمكاناتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية([1]).

على كل حال، استمرت البرتغال وإلى نهاية القرن (السادس عشر الميلادي) هي القوة المهيمنة ليس في الخليج العربي حسب؛ وإنما في معظم أجزاء المحيط الهندي، إلا أن "أهل عُمان المعروف عنهم حبهم الشديد للاستقلال"[(2)] كانوا حينئذ تهيئهم الأقدار ليتوحدوا تحت قيادة سياسية قوية ومركزية، وقد سنحت تلك الفرصة مع بروز شخص الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (تولى الإمامة: 1615-1640م) الذي تم انتخابه إماما في عُمان. وكان من أهم إنجازاته إلى جانب توحيد عُمان؛ هو تحريرها من قبضة المستعمرين البرتغاليين ما عدا بعض تحصيناتهم العسكرية في مسقط، ومطرح، وصحار التي تم فعلا تحريرها نهائيا على يدي خليفته الإمام سيف بن سلطان (الأول) (تولى الإمامة: 1640-1679)[(3)].

وكما هو معروف تاريخيا لم يكتف العُمانيون بتحرير تراب بلدهم من هيمنة الاستعمار البرتغالي؛ بل طاردوا المحتل أينما وجدوه في المحيط الهندي؛ فهاجم العُمانيون بأسطولهم البحري القوي والضارب معاقل

---

(1) Phillips,1967

(2) Hollingsworth, 1953، ص 2

(3) Phillips, 1967

البرتغاليين في الخليج العربي، والساحل الغربي للهند، والساحل الشرقي لإفريقيا. فحررت القوات العُمانية زنجبار في 1652 من هيمنة البرتغاليين. وأرسل أهل (ممباسا) وفدا إلى عُمان التقى بالإمام سيف بن سلطان اليعربي، وشرح له ما يعانيه أهل (ممباسا) من جور وطغيان البرتغاليين والقبضة الحديدة التي يضرب بها البرتغاليون الأفارقة في كل أجزاء الساحل الشرقي لإفريقيا؛ من أجل ذلك أرسل الإمام أسطولا بحريا مكونا من سبع سفن كبيرة، وعشر سفن صغيرة، تقل 3000 جندي فحاصر الجيش (قلعة المسيح) التي تتحصن فيها القوات البرتغالية لمدة ثلاثة وثلاثين شهرا (13 مارس 1696 إلى 12 أو 13 ديسمبر 1698م) حتى سقطت في أيدي القوات العُمانية؛ فتمّ تحرير (ممباسا) من الاحتلال البرتغالي. وليس ذلك حسب؛ فلم يبق العُمانيون للبرتغاليين من معاقلهم التي احتلوها في الساحل الإفريقي الشرقي إلا مقرا واحدا في (موزمبيق) يقع جنوب نهر (روفوما- Rovuma)[1]. يقول وندل فيلبس: "لقد وجه الإمام سلطان بن سيف الأول اهتمامه نحو إفريقيا، مخرجا البرتغاليين من كل القلاع الواقعة شمال قناة موزمبيق؛ ليجعل عُمان هي العامل الفاعل في شؤون شرق إفريقيا"[2]. ويقول (هولينجسورث- Hollingsworth) "مع دخول القرن (التاسع عشر الميلادي) أصبح الساحل بدءا من

---

(1) Hollingsworth, 1953

(2) Phillips, 1967، ص 47

(مقديشيو وإلى روفوما)، بكل ما للكلمة معنى، تحت سيطرة إمام عمان"[1].

وقد أعاد العُمانيون في القرن التاسع عشر تأكيد علاقتهم القوية مرة ثانية مع الساحل الشرقي لإفريقيا؛ وذلك عندما قرّر السيد سعيد بن سلطان في (1832م) اتخاذ زنجبار عاصمة للدولة العُمانية. لا يعد السيد سعيد ابن سلطان باتخاذه تلك الخطوة مؤسس زنجبار المعاصرة حسب؛ بل قد وضع الساحل الشرقي لإفريقيا في صدارة العالم تجاريا ودبلوماسيا واستراتيجيا؛ فإلى جانب استقطابه لرعاياه العُمانيين، وغيرهم من سكان المناطق الواقعة على المحيط الهندي لا سيما الهنود والعرب والأفارقة، رحب السيد سعيد برجال الأعمال الدوليين. وقد توجت أهمية زنجبار في المنظومة التجارية والاستراتيجية العالمية حينئذ بتوقيع السيد سعيد بن سلطان لاتفاقيات تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية في 1833م، وبريطانيا في 1839م، وفرنسا في 1844م. وأعقب توقيع تلك الاتفاقيات سماح السيد سعيد بن سلطان لتلك الدول بفتح قنصليات لها في زنجبار. فقد افتتحت الولايات المتحدة الأمريكية قنصليتها في مدينة زنجبار في 1837م، وتبعتها بريطانيا في 1841م، وفرنسا في 1844م. وقد امتد نفوذ زنجبار في أثناء حكم السيد سعيد بن سلطان بدءا من مقديشيو في

---

(1) Hollingsworth, 1953، ص 3

الشمال وإلى (دلجادو- Delgado) في الجنوب، أي بطول 1000 ميل. وفي الداخل الإفريقي أقام علاقات سياسية وتجارية مع القبائل الإفريقية، ووصل رعاياه إلى البحيرات العظمى ومنابع النيل وأعالي الكونغو [1].

العُمانيون في شرق إفريقيا مهد الحضارة السواحيلية:

يقول أستاذ التاريخ في جامعة (دار السلام) البروفسر عبد الشريف "لقد أصبحت زنجبار نتيجة؛ لتفوقها السياسي والاقتصادي في الساحل الشرقي كرسيًّا للعلم ومركزا للثقافة السواحيلية، ومصدر للغة السواحيلية والإسلام، والمكان الذي انطلقت منه اللغة والدين؛ لينتشرا في بقعة واسعة في وسط إفريقيا. هذه هي المساهمة الثقافية الخالدة التي قدمتها زنجبار ليس لتاريخ شرق إفريقيا حسب؛ وإنما للبشرية قاطبة"[2]. والسؤال إذا لماذا حدث ذلك؟ وكيف حدث؟

قد تزامن تحول الساحل الشرقي لإفريقيا إلى مركز للتجارة العالمية مع انفتاح الداخل الإفريقي مع ما يحدث على الشاطئ من نشاط تجاري قوي. ومن وجهة النظر التجارية كان لا بد من فتح أسواق جديدة للسلع القادمة إلى المنطقة عبر خطوط التجارة العالمية، إضافة إلى الطلب العالمي المتزايد على منتجات الداخل الإفريقي. من هنا شق العُمانيون طريقهم

---

(1) Hollingsworth, 1953

(2) Sharif, 1991، ص 1

إلى عمق القارة الإفريقية سالكين ثلاث محاور رئيسة من الطرق التي ربطت الساحل بالبر الإفريقي- وكانت في السابق معروفة لدى الأفارقة. فأول تلك الطرق، تلك الواقعة في الجزء الجنوبي من ساحل تنزانيا حيث تقع موانئ (كلوة- Kilwa) و(كيفنجي- Kivinjie) و(مَكنداني- Mkindani) و(ليندي- Lindi)، إذ تتجه الطرق من هذه الموانئ إلى بحيرة (نياسا- Nyasa) عبر المناطق التي تقطنها قبائل (ماكوندي- Makonde) و(ماكوا- Makua) و(ياو- Yao). وأما المحور الثاني؛ فإنه يتكون من مجموع المسارات المنطلقة من الشاطئ المقابل مباشرة لجزيرة زنجبار، حيث تقع مجموعة من الموانئ منها (باجامويو- Bagamoyo) و(سادام- Sadam). تمر هذه الطرق عبر الأراضي التي تسكنها شعوب الداخل الإفريقي ومنها (زارانو- Zarano) و(كيم- Kaim) و(ساجار- Sagar) و(لوجورو- Luguru) و(جوجو- Gogo)، وتنتهي إلى أرض (ميامويزي- Myamwezi) التي ينطلق منها التجار إلى (يوجيجي- Ujiji) ثم يواصلون طريقهم عبر بحيرة (تانجانيقا- Tanganyika) إلى (كونجو- Congo). ومن كونجو يتجهون إلى (كاروجوى- Karogwe) ثم شمالا إلى (بوجاندا- Buganda) وما بعدها، أو أنهم يتجهون إلى جنوب وغرب بحيرة (نياسا- Nyasa). وأما المسار الثالث من الطرق فإنه الواقع في الجزء

الشمالي من ساحل تنزانيا والجزء الجنوبي من ساحل كينيا حيث تقع موانئ (فانجا- Vanga) و(ممباسا- Mombasa) . تربط الطرق هذه الموانئ بعدد من الأماكن في الداخل منها (تشاجا- Chagga) حيث يقع جبل (كيليمنجارو- Mount Kilimanjaro). ثم تعبر هذه الطرق من خلال أرض قبائل (مسايا- Maasai) إلى الشواطئ الشرقية لبحيرة فكتوريا. وأما الطرق التي تمر عبر أراضي (كيكويو- Kikuyu) فإنها تؤدي إلى المناطق الشمالية من (كيليمنجو- Kilimanjaro) ومنها إلى بحيرة (بارينجو- Baringo) وبحيرة (ردلوف- Rudilf)[1].

لم يكن تعمق العُمانيين في القارة الإفريقية لأهداف تجارية محضة بل صاحبه تفاعل اجتماعي وثقافي مع السكان الأصليين؛ فقد عمل العُمانيون على نشر اللغة السواحيلية في كل المناطق التي وصلوا إليها، وعرّفوا الأفارقة بالدين الإسلامي؛ فقد أصبحت كثير من المراكز التجارية التي أنشأها العُمانيون على هذه الطرق التجارية، لتجميع المنتجات الإفريقية، فيما بعد تجمّعاتٍ حضرية ومدنا وقرى للأفارقة والعرب على حدّ سواء. ومن أقدم تلك التجمعات التي أنشؤوها (زنجميرو- Zungmero) القريبة من (كيساكي- Kisaki). كما أنشأ

---

(1) Bennett, 1974

العُمانيون الكثير من المراكز الحضرية في المناطق التي تقطنها قبائل (نيامويزي- Nyamwezi). فقد أنشأوا في البداية مركزا تجاريا في (مسيني- Msene) التي تقع إلى الغرب من (تابورا- Tabora)، إلا أن تابورا نفسها أصبحت بعد ذلك مركزا تجاريا للعُمانيين في تلك المنطقة. وفي الطريق المتجه إلى (أونيانيمبي- Unyanyembe) أنشأ العُمانيون مراكز تجارية في المناطق التي تقطنها قبائل (زارامو- Zaramo) و(ساجارا- Sagara) و(لوجورو- Luguru). وقد وصل العمانيون قبل عام 1830م إلى مدينة (يوجيجي- Ujiji) الواقعة على بحيرة تانجانيقا) حيث تقطن قبائل (ها- Ha) منطقة يوجيجي التي تبلغ مساحتها 32 كيلومتر، والممتدة على طول بحيرة تانجانيقا بدءا من نهر (لوتشو- Luicho)، وإلى الحدود مع (بوروندي- Burundi). وقد أقامت قبائل (ها) علاقات تجارية مع التجار العُمانيين، بل سمحوا لهم بالاستيطان في قلب مدينتهم يوجيجي التي تشتهر بمينائها الذي يقع على بحيرة تانجانيقا. وقد ارتبط العُمانيون ونظراؤهم الأفارقة من سكان يوجيجي بعلاقات تجارية متينة انعكست على ازدهار الحركة التجارية في منطقة بحيرة تانجانيقا. كما وصل العُمانيون بدءا من 1840م إلى (بوجاندا- Buganda) سالكين الطريق التجاري القادم من (يونيانيمبي- Unyanyembe). وقد رحب بهم (كاباكا- Kabaka) و(سونا-

Suna) وهم من كبار قادة القبائل القاطنة في تلك المناطق. كما تمّ الترحيب بهم في (جاندا- Ganda) حيث سمح لهم بالإقامة وممارسة التجارة (Bennett, 1974). إلى جانب ذلك ارتبط العُمانيون بعلاقات مصاهرة مع الأفارقة في كثير من الأماكن التي وصلوا إليها في البر الإفريقي؛ منها على سبيل المثال، (نياموزي) حيث تزوج العُمانيون في هذه المنطقة من بنات الرؤساء والزعماء مما أدى إلى ترابط اجتماعي متين بين الجانبين[1].

وكتب القسيس البريطاني (الإكزندر ماكاي- Alexander Mackay) من أوجندا في 1888م عن وصول العُمانيين إلى داخل القارة الإفريقية، وتفاعلهم مع السكان الإفريقيين في تلك المناطق، قائلا: "قد تغلغل عرب مسقط من زنجبار إلى داخل القارَّة؛ يتاجرون ببضائع مصانع (مانشستر) ويقيمون علاقاتٍ سلميَّةً مع القبائل المحليَّة؛ لذا يعود الفضل إلى عرب مسقط في أن يجد الرَّحالَّة وبعدهم الإرساليُّون الطُّرق مذلَّلةً للوصول إلى أعماق إفريقيا. لقد مارس الهندوس القادمون من (كتش)، والبانيان القادمون من (بومباي) التِّجارة لعدَّة قرونٍ في السَّاحل الإفريقي الشَّرقي، إلَّا أنَّهم كانوا متهيِّبين من القيام بأيِّ مغامرةٍ للذَّهاب إلى المناطق الدَّاخليَّة من القارَّة. ومن جانب آخر؛ أستطيع القول بشكل

---

(1) Bennett, 1974

عام، إنَّه أينما حاول الرَّحَّالة الأوربيُّ التَّغلغل إلى مناطق أبعد من تلك التي زارها العربيُّ في شرق إفريقيا، فسيجد أنَّه من المستحيل عليه ذلك، وحينئذٍ يصبح مرغمًا إمَّا أن يقاتل لأجل العبور، وإمَّا أنَّه يلجأ إلى الطَّيران. فمن يتتبَّع القصص الَّتي وقعت في السَّنوات الماضية؛ سيقف على حوادث لا تحصى من قبيل ما ذكرت. فعلى سبيل المثال، واجهت الصُّعوبات (ستَانْلي- Stanley) عندما عبر أبعد من أقصى نقطةٍ وصلها العرب في مانيوما، وكذلك حصل لكلٍّ من (تومسون- Thomson) عندما عبر إلى الغرب من تانجانيقا، و(رتشارد وزميله جيرود- Reichard and Giraud) على اللّولابا. وعلى هذا الأساس، فإنَّ الإرساليّين تمكَّنوا من الذّهاب فقطّ إلى المناطق الَّتي رحل إليها العربيُّ سلميًّا. أمَّا المناطق الَّتي لم يغامر العربيُّ في الوصول إليها فكان على الإرساليّين أن يظهروا أقصى درجات الحذر من الذَّهاب إليها"[1].

وقد اهتمت عدد من المصادر التي كتبها الرحالة والساسة الغربيون الذين عاشوا في الساحل الشرقي لإفريقيا في القرنين (التاسع عشر والعشرين الميلادي) بذكر عدد من الشخصيات العُمانية التي غامرت في الوصول إلى الداخل الإفريقي. ومن أبرز الشخصيات العُمانية التي كُتب عنها هو احمد بن إبراهيم العامري. فقد كتب (السير جون ميلنر جري-

(1) Harrison, 1891، ص 417

Sir John Milner Gray) باستفاضة عن هذه الشخصية العُمانية، استقى جزءا كبيرا من محتواها من (السير ابولو كاجوا- Sir Aplo Kagwa) والسير (ستينلي- Stanley). ولأهمية ما كتبه السير جري عن شخصية أحمد بن إبراهيم فإننا نقدم فيما يأتي ترجمة، وليس إعادة صياغة؛ لمقتطفات منها:

يقول السير جيري: "مثل الكثير من معاصيره، هاجر والد أحمد بن إبراهيم العامري بعائلته من عُمان إلى زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان. وفي عام 1876م أصبح أحمد نفسه كبيرا بما فيه الكفاية ليطلق عليه شيخا، وهو لقب يطلقه العرب على ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة الذي يبلغون الخمسين من العمر. فمن هذا الأساس يتضح أن أحمد بن إبراهيم ولد ما بين 1820-1825م. وكما هي الحال مع مجموعة ممن عاصره؛ فإن روح المغامرة أدّت به إلى القارة الأم في وقت مبكر من عمره. وبعد عدت سنوات من وصوله هناك ذكر أحمد ابن إبراهيم لأمين أفندي أنه قام بثلاث زيارات إلى (بوجاندا) في أثناء حكم (سونا). كما قال نفسه إنه كان أول العرب الذي زاروا (سونا) بل أول من وصل إلى بلاطه في 1260هـ أو حدود 1844 بعد الميلاد. وأما الزيارة الثالثة، كما قال بنفسه، فإنها حدثت بعد وفات سونا مباشرة، وذلك في شهر صفر 1273هـ الموافق، أكتوبر 1856م. وقد قال عنه (ستينلي) الذي التقاه

بعد 20 سنة من ذلك الوقت "إن انفعال الشيخ أحمد السريع وصوته الجهوري ليسا لائقين به، لقد نفراني". إلا أن (السير أبولو كاجوا) أخبرنا في كتابه (أبيكا- Ebika) (ص 40) حادثة رفع فيها الشيخ أحمد صوته في موقف فعال ومؤثر. فحال سونا كحال من سبقه، وكحال ابنه ومن جاء بعد، في بعض الأحوال يقوم بذبح أعداد كبيرة من أتباعه أضاحيَ؛ لدفع الشر عن بوجاندا. وفي مرة من المرات أعطى سونا أوامره بذبح عدد من أتباعه، وكان أحمد حاضرا فما كان منه إلا أن وقف على رجليه وقال لسونا: "إن الله هو الذي خلق سونا وشعبه كلهم، وأن الله وحده مالك الملك، وأنه ذنب عظيم عند الله أن يقوم سونا بإبادة هؤلاء الناس الذين خلقهم الله". ربما لم يتلكم أحد أبدا بهذه الطريقة مع أي أحد من حكام بوجاندا. لقد ذعر الذين سمعوا ذلك التعنيف من أحمد وضنوا أن السماء ستنطبق على الأرض، وأن ذلك العربي سيلقى المصير نفسه الذي لقيه أولئك المضحى بهم. إلا أن سونا كان به شيء من سلامة الطبع، وقد انصدم بالتقريع الذي سمعه من أحمد؛ فطلب أن يعرف أكثر عن هذا الدين الذي لا يجعل احتراما للأشخاص في حد ذاتهم. بعد ذلك تكررت الاجتماعات واللقاءات بين سونا وأحمد بن إبراهيم الذي كتب له كتابا به التعاليم الأساسية للإسلام...

وقد التقى (ستينلي- Stanely) بأحمد بن إبراهيم في (كافورو- Kafuro) بـ(كاريجوي- Karagwe) في 15 فبراير 1876م. وقد كتب ستينلي في مقاله (العبور خلال القارة السوداء- Through the Dark Continent) المقطع التالي عنه: "إن أحمد بن إبراهيم ثري بما يملكه من قطعان الأبقار، والرقيق، والعاج. وإذا كانت الأرقام التي ذكرها صحيحة فعلا فإنه يملك 150 رأس بقر، و40 رأس غنم، و150 عبدا، و450 ناب عاج، تبين لنا فيما بعد أنه يحتفظ بها في مكان آمن مع صديقه رئيس (أورانجوا- Urangwa) في (أونيامويزي- Unyamwezi)، ويملك أحمد بيتا واسعا كبيرا. ولديه عدد من الإماء، ومجموعة من الأطفال. إن أحمد رجل عربي طيب ومهذب، فاتح البشرة، مضياف يكرم أصدقاءه، وسخي على عبيده، ولطيف مع نسائه. لقد عاش أحمد ثمانية عشر سنة في إفريقيا، اثنتا عشرة منها قضاها في كارجوا. وهو يعرف سونا، الإمبراطور المحارب الأوجندي، والد (موتيسا- Mutesa). وقد سافر إلى أوجندى كثيرا. وقام بعدة جولات بين (يونيانيمبي- Unyanyembe) و(كافورو). وبما أنه عاش كثيرا في كاريجوي فإنه على صداقة مع (رومانيكا- Rumanika)، الذي حاله كحال موتيسا يحب جذب الأجانب إلى بلاده. وقد حاول أحمد عدة مرات أن يقيم علاقات تجارية مع الإمبراطورة

القوية في رواندا، إلا أنه فشل في كل مرة. وعلى الرغم من أن عبيده حاولوا عدت مرات الوصول إلى البلاط الإمبراطوري هناك، إلا أن واحدا أو اثنين منهم فقط تمكنوا من الفرار من التعذيب والمكر العظيم الذي يمارس هناك. لقد قال لي أن (وايا راواندا- Waya Ruanda) شعب عظيم إلا أنهم طماعون، وسيّؤا النية، وغادرون، ولا يمكن الثقة بهم أبدا. إنهم لم يسمحوا لنا نحن العرب لممارسة التجارة في بلادهم؛ فتوجد لديهم كمية كبيرة من العاج. لقد حاولنا أنا وخميس بن عبدالله، وتيبوتيب، وسعيد بن حبيب بشكل مستمر في السنوات الثماني الماضية أن ندخل بلادهم، لكن لم ينجح أحد منا في فعل ذلك".

كان الشيخ أحمد بن إبراهيم شخصية جديرة بالاحترام والتقدير. لقد وصل عمرا ومكانة في الحياة خوّلاه لأن يكون شيخا. وبما أنه كان عميد العرب، وصديقا قديما لوالد موتيسا، فلا يمكن التعامل معه على أنه رجل غير مؤثر. فكما سنرى كان في بعض الأحيان يتفوق منفردا على الأكثرية في مجلس دولة موتيسا. فإنهم غالبا ما يحتاجون إلى آرائه عندما تتعلق الأمور بالعلاقات الخارجية، أو مع الدول العظمى الأخرى. فقد تمت الحاجة إلى رأيه عندما وصلت في ابريل 1876م إلى (روباجا- Rubag) عاصمة كوتيسا قوة مصرية قوامها 160 جنديا بقيادة أمين أفندي، أرسلها إسماعيل باشا للسيطرة على منابع النيل في إفريقيا. وقد

بدأ الجنود المصريون التصرف وكأنهم أصحاب الأرض؛ مما أثار حفيظة موتيسا، وتشكلت جبهة تطالب بالقضاء على القوة المصرية. فطبيعيا أن يكون الشيخ أحمد، وزملاؤه من التجار الزنجباريين، ضد هذا التغير. فالرغم من أن المصريين إخوة الشيخ أحمد في الدين، إلا أنه تعاطفه ومن معه من الزنجباريين كان مع موتيسا وباجندا، إلا أن معرفته الواسعة بالعالم الخارجي جعلته مدركا أن الهجوم على القوة المصرية مهما حقق من نتائج وقتيه سيؤدي إلى أعمال انتقام خطيرة؛ لذا فإنه بقدر ما كان يتطلع إلى خروج القوات المصرية من بوجاندا إلا أنه تمكن من تشكيل مجلس مقتنع بعدم اللجوء إلى العنف وتفضيل الوسطية، مما جنب حدوث مواجهات مؤسفة بين الجانبيين. وفي 29 أغسطس وصلت رسالة إلى أمين باشا تأمره بأن يسحب القوات المصرية من بوجاندا ويعود إلى (مرولي- Mruli).

ويبدو أن الشيخ أحمد بن إبراهيم توفي في أواخر عام 1885م. ويروي ستينلي جزءا من قصة موته، في حين تروي الجزء الآخر منها ابنته صالحة بنت أحمد بن إبراهيم العامرية. تقول صالحة: "لقد عاش أحمد بن إبراهيم في كافورو وقتله (وانيامبو- Wanyambo) وهو في بيته بعد صلاة العشاء مباشرة. فقد جلس في البرزة في بيته مع مجموعة من العرب وخدمه وكان المكان مُضاءً بالقناديل. فجاء مجموعة من وانياموا متسللين وراء أشجار الرمان المزروعة بقرب البيت؛ فاطلقوا عليه السهام التي اصابته

في الصدر. فجمعنا كلنا وتحدث إلينا قليلا ثم توفي. لقد كنت صغيرة جدا عندما قتل والدي؛ لكني أتذكر تفاصيل كل ما حدث تلك الليلة. لقد رأيت أبي وهو يحتضر".

وفي 1889م زار أمين باشا كافورو مرة أخرى؛ فكتب أحد قادته يصف المكان الذي كان يسكن فيه العرب قبل مقتل أحمد بن إبراهيم قائلا: لقد وصلنا كافورو الساعة 11 صباح 3 أغسطس، فخيمنا في المكان الذي كان يسكن فيه التجار العرب، وهو الآن لا يعدو أن يكون حطاما بائسا. فكل بيوت الطين التي بناها العرب هنا في أيام ازدهارهم أصبحت متهدمة. وليس في المكان سوى قبرين لا يزالان باقيين من قبور العرب الذين ماتوا هنا، وأما الشيء الوحيد الحي المتبقي فإنها شجرة ليمون وبعض شجيرات الطماطم التي زرعها العرب عندما كانوا هنا"[1].

الخاتمة:

كان التقاء العُمانيين بأشقائهم الأفارقة نتاجا طبيعيا ساعدت على تحقيقه الرياح الموسمية التي تهب على الحوض الغربي للمحيط الهندي، وحملت القاطنين على ضفافه على السفر والترحال بين شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا والهند. والحضارة الإفريقية تربطها عوامل متعددة بالحضارة

---

(1) Gray, 1947

العربية من أقواها الدين الإسلامي؛ مما ساعد على تحقيق اندماج صحي مُرْضٍ بين العَمانيين الذين عاشوا في شرق إفريقيا، والسكان الأفارقة أنفسهم. يقول (مايكل لوفتشيه- Michael Lofechie) كان العُمانيون مختلطين بمختلف الأعراق السواحيلية؛ إذ لم يكن عامل العرق، أو اللون، يحول بين اندماج الإفريقيين بالعُمانيين وغيرهم من العرب. "فالعرب الزنجباريون كانوا يشكلون مجموعة نخبة منفتحة وليس منغلقة، وذلك بعكس الوضع في جنوب إفريقيا حيث عمدت المؤسسة القانونية والقضائية والسياسية بأكملها على حماية نفسها بمنع الناس من تجاوز الحواجز الاجتماعية. كانت تركيبة النخبة في المجتمع الزنجباري منفتحة على الطبقات الدنيا وتسمح لها بالوصول إليها. لم تكن تلك سياسة متعمدة، وإنما هو نتاج طبيعي لمجتمع لم يضع لنفسه حواجز اجتماعية مانعة. كانت بعض القيود المهمة والجلية للحد من الوصول إلى الطبقة العليا موجودة، لكن كان تفعيلها يحدث بمرونة من شأنها أن تسمح لبعض أفراد الطبقات الدنيا الارتقاء إلى الطبقات العليا من المجتمع"[1]. وأما الأفارقة أنفسهم فإن وحدتهم القبلية لم تحل دون اندماجهم مع العُمانيين والاقتداء بهم. فكان الأفارقة ينظرون إلى توافر ثلاثة عوامل رئيسة؛ هي: الدين الإسلامي، واللغة السواحيلية، والعرق الإفريقي المتداخل مع كل شعوب الساحل

(1) Lofchie, 1965، ص 76

الإفريقي، وكان كافيا للمحافظة على هويتهم السواحيلية المميزة؛ مما يجعلهم لا يمانعون من التواصل مع غيرهم من أبناء الحضارات الأخرى[1].

المراجع:

Bennett, Norman (1974). The Arab Impact. In Ogot, B. A. (ed.) Zamani: a Survey of East African History. Nairobi: East African Publishing House Ltd. pp 210-228.

Gifford, Prosser and Louis, WM. Roger (eds.) (1967). Britain and Germany in Africa: imperial rivalry and colonial rule. London: Yale University Press.

Gray, Sir John Milser. (1947). Ahmed bin Ibrahim: the first Arab to reach Buganda. *The Uganda Journal*, 11/1, pp 80-97.

Harrison, Alexina Mackay (1891). Alexnder Mackay, pioneer missionary of the Church Missionary Society to Uganda, by his sister. London: Hodder and Stoughton.

Hollingsworth, L. W. (1953). Zanzibar under the foreign office 1890-1913. Connecticut: Greenwood Press.

Lofchie, M. (1965). Zanzibar: background to revolution. London: Oxford.

---

(1) المرجع السابق

McMaster, C. M. (1966). The Ocean-going Dhaw trade to East Africa. *East African Geographical Review*, no. 04, pp 14-24.

Phillips, Wendell. (1967). Oman: a history. London: Longman.

Sharif, Abdul (1991). A materialist approach to Zanzibar history. In Sharif, Abdul and Ferguson, Ed (Eds.) Zanzibar under colonial rule. London: James Curry, pp 1- 8.

UNESCO, (1980). The General History of Africa: studies and documents- Report and papers of the meeting of experts organized by Unesco at Port Louis, Mauritius from 15 to 19 July 1974. Published in 1980 by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization Place de Fontenoy, 75700 Paris.

Wilkinson, J. C. (1981). Oman and East Africa: new light on early Kilwan history from the Omani sources. *The International Journal of African Historcal Studies*. 14/2, pp 272-305.

كتابات الرحالة والمستشرقين الغربيين عن عُمان وقيمتها العلمية والتاريخية والثقافية

ترك الرحالة والمستشرقون الغربيون الذين زاروا عُمان وكتبوا عن تاريخها وشعبها وأرضها إرثا علميا وثقافيا غزيرا لا تزال أهميته الأكاديمية ممتدة إلى هذا العصر. القيمة العلمية والتاريخية لما كتبه الرحالة والمستشرقون لا تقف عند موضوعاتها ومحتوياتها وإنما تتعداها لتشمل قيمة أخرى أضافتها كتابات الباحثين والدارسين والمؤرخين المعاصرين، العُمانيين وغير العُمانيين، عربا ومستشرقين، الذين وجدوا فيما تركه الرحالة والمؤرخون الغربيون ليس فقط مصادر تاريخية قيمة ومرموقة وإنما كذلك مجالات بحثية خصبة أولوها العناية والاهتمام من خلال الدراسات والبحوث والندوات والمؤتمرات التي احتفت بها وناقشتها وحللتها. يقول الباحث العُماني أحمد المعشني "يجد الباحث نفسه إزاء خضم من الكتابات الاستشراقية التي تناولت عُمان عبر فترات زمنية مختلفة؛ فمنها ما يندرج ضمن أدب الرحلات وبعضها كان موضوعه الحفريات والنقوش والبعض الآخر منها ركز على الخصائص الأنثروبولوجية، ناهيك عن بعض الجهود التي جعلت مجالها دراسة الإنسان وعلاقته بالزمان والمكان في سياقهما الاجتماعي

العام وانعكاس ذلك على تفكيره وسلوكه"[1]. وفي سياق مماثل يقول الأكاديمي أنطوان عبدو "لم يبخل المستشرقون والرحالة على عُمان وبحرها وناسها بالزيارة والتحقيق وتدوين كتابات قد تتفاوت بقيمتها وأهميتها (وقد يقع فيها التكرار) لكنها تبقى مهمة خصوصا بما حفظته لنا من وصف البلاد في القرنين الماضيين، وأحوال المدن والقرى والمرافئ والناس وبيوتهم وعاداتهم وتقاليدهم وظروف عيشهم ولغاتهم ونظمهم السياسية"[2]. ومن الباحثين العُمانيين المعاصرين من يتساءل "ما الذي أغرى الأدباء الأوربيين والأمريكان بالكتابة عن بلد[...] مثل عُمان؟"[3].

يهدف البحث الحالي إلى تسليط الضوء على كتابات المستشرقين والرحالة الغربيين عن عُمان، والتعرف على القيمة العلمية والتاريخية لذلك الموروث الثقافي وأهميته للباحثين المعاصرين في الشأن العُماني وفي موضوع الاستشراق في آن واحد. والموضوع ليس بالبساطة التي يبدو بها؛ ولأسباب متعددة منها أن الأعمال الاستشراقية التي عنيت بعُمان كثيرة ومتنوعة الاهتمامات والموضوعات وتمتد على فترة زمنية لا تقل عن أربعة قرون–

---

(1) المعشني، 2014 ص 161

(2) عبدو، انطوان (2014). صورة تطور عُمان الحضاري في مدونات المستشرقين القديمة والمعاصرة. في الدرمكي، عائشة (تحرير) الاستشراق في عُمان (ص 111- 144). مسقط: دار الغشام.ص 113

(3) الحجري، هلال. (2010). غواية المجهول. مسقط: النادي الثقافي، ص 14.

وذلك منذ أن وصل البرتغاليون عمان في القرن السادس عشر الميلادي، ولا تزال متجددة ومستمرة على أيدي الرحالة والمستشرقين الجدد إلى يومنا هذا، كما أنها كتبت بلغات عالمية متعددة منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وتوجد في مكتبات وأرشيفات ببقاع مختلفة من العالم، وبعضها منسي أو مهمل في أدراج المخطوطات والكتب النادرة، والبعض الآخر في مجالات علمية دقيقة مثل الجيولوجيا وعلم النبات والطب، وهي مجالات لا يلم بها إلا الباحث المتخصص. هذه العوامل تضع التحدي في إخراج عمل متكامل حول موضوع الاستشراق والرحالة الغربيين الذين استهدفوا عُمان. من هذا المنطلق فإن هذه الدراسة ليست شاملة ولا متكاملة، وإنما تركز على بعض جوانب الموضوع؛ أي أن الدراسة لا تناقش القيمة العلمية والتاريخية لكتابات الرحالة والمستشرقين من جميع أوجهها، ولا تحاول أن تلم بجميع الرحالة والمستشرقين الذين كتبوا عن عُمان فذاك بحاجة إلى عمل موسوعي خارج نطاق الدراسة الحالية وقدرات الباحث. والمعيار الذي تعتمده الدراسة هو أخذ نماذج من فترات متفاوتة واهتمامات متعددة وجنسيات متنوعة تمثل المجموع الكلي للأعمال الاستشراقية ورحلات الأوربيين في عُمان للإجابة على الأسئلة البحثية التالية:

- ما العوامل التي شجعت الرحالة والمستشرقين الغربيين على زيارة عُمان والكتابة عنها؟

- من هم الرحالة والمستشرقون الغربيون الذين زاروا عُمان أو كتبوا عنها؟
- ما هي جوانب القيمة العلمية والتاريخية والثقافية لكتابات الرحالة والمستشرقين عن عُمان؟

ما شجع الرحالة والمستشرقين الغربيين على زيارة عُمان والكتابة عنها:

المتتبع لتاريخ عُمان، أرضا وشعبا ووجودا حضاريا وثقافيا وسياسيا ممتدا عبر القرون، يلحظ نوعا من التفاعل بين عُمان ومعاصيرها سواء على مستوى الدول أم الشعوب أم الأفراد. وأحد الأمثلة الخالدة في الذاكرة العُمانية لهذا النوع من التفاعل ما قاله رسول الله محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، أمام بعض أصحابه في المدينة المنورة «إني لأعلم أرضا يقال لها عُمان ينضح بناحيتها البحر، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر». فالصورة التي كونها رسول الله في وعيه عن عُمان وأهلها تعكس خاصية مميزة لهذا البلد في الوسط العربي الكبير في عهد النبوة تتمثل في الاستقلالية القطرية وإكرام الضيف والحفاظ على سلامة الرسل الوافدين على البلد حتى ومع الاختلاف معهم في التوجه والعقيدة والدين. واهتمام الرحالة والمستشرقين بعُمان ينطلق من المبدأ نفسه، أي من كون خصائص وسمات نابعة من عُمان والعُمانيين جذبت اهتمام الرحالة والمستشرقين،

تجاذبت مع عوامل نابعة من الرحالة والمستشرقين أنفسهم جعلتهم يهتمون بعُمان حتى خلدوا ذكرها في أعمالهم وكتاباتهم.

ويبرز عاملا الموقع الجغرافي لعُمان ودورها الحضاري على المستوى الإقليمي والدولي بصورة واضحة في جذب اهتمام الدول الأوربية ورعاياها من رحالة ومستشرقين منذ أن بدأ الأوربيون يوجهون أنظارهم إلى هذا الجزء من العالم. فعُمان دولة بحرية ساهمت كثيرا في مجال النشاط البحري الإقليمي والدولي، وتبوَّأت موقعا استراتيجيا جعلها نقطة التقاء الخطوط البحرية لكثير من دول العالم المهتمة بالمنطقة وبوابة عبور للسفن والسلع ليس فقط بين دول المنطقة وإنما بينها وبين قارات آسيا وإفريقيا وأروبا. فمنذ وقت مبكر من تاريخ الحضارة البشرية في هذا الجزء من العالم أصبحت عُمان دولة بحرية، وخوَّل موقعها على المحيط الهندي شعبها على ركوب البحر والسفر بسفنهم الشراعية إلى شرق إفريقيا والصين والهند والبحر الأحمر ومنطقة الهلال الخصيب. وفي هذا الصدد يقول محمد صابر عرب: "لم يكن موقع عُمان مجرد مقوم جغرافي فحسب، وإنما هو رأس مال طبيعي، ومورد أصيل من موارد الثروة القومية، وكان دائما بمثابة شبكة متصلة إقليميا وعالميا. وعموما فقد أكسب هذا الموقع الاستراتيجي أهمية عظيمة لعُمان؛ انعكست إيجابا على دورها التاريخي والحضاري"[1]. فعلاقة

([1]) عرب، 2013 ص16

العُمانيين بارتياد البحر تعود، حسب رأي بعض الباحثين، إلى نحو 6 آلاف عام قبل الميلاد، وذلك عندما نشأت التجمعات الحضرية بجانب البحر في الجزيرة العربية، واتسمت باستعمالها تقنيات إبحار متقدمة ووصلت بسفنها إلى (قناة موزمبيق) وما بها من جزر، وهي أقصى نقطة في الساحل الإفريقي يمكن أن يصل إليها البحارة المدفوعون بالرياح الموسمية من شمال المحيط الهندي إلى جنوبه. وحسب وجهة نظر (جون ويلكنسون– Wilkinson, 1981)؛ كان التجار والبحارة العُمانيون في حقبة ما قبل الإسلام منضوين تحت الأنشطة البحرية للدولة الساسانية التي شملت الخليج العربي والساحل الجنوبي للجزيرة العربية ومكران والسند والهند، وأقاموا شبكات من العلاقات التجارية استمرت إلى ما بعد الفتح الإسلامي. وعندما تأسست الإمامة الأولى في عُمان في القرن (الثاني الهجري/السابع الميلادي) نشأ معها أسطول بحري جعل عُمان فاعلة ومؤثرة في النشاط التجاري البحري ليس في منطقة الخليج العربي حسب، حيث قضى العُمانيون على بوارج القراصنة الذين هددوا التجارة فيه؛ وإنما في منطقة المحيط الهندي كاملة بما في ذلك شرق إفريقيا والهند والصين التي لم تنقطع علاقة البحارة العُمانيين بها إلا بعد سقوط كانتون في عام 878م. وقد وصل النفوذ السياسي العُماني في هذه الحقبة في الساحل الشرقي لإفريقيا إلى جزيرة سقطرة التي تعود تبعيتها لعُمان إلى زمن الإمام

الجلندى بن مسعود في منتصف القرن (الثامن الميلادي). وتدعم النشاط البحري العُماني في هذه الحقبة بدخول التجار العُمانيين في شراكة تجارية مع نظرائهم من التجار في البصرة وسيراف وبيول (السند) وإنشاء مراكز تجارية خاصة بهم في تلك المناطق. كما أتاح العُمانيون لتجار تلك المناطق ممارسة التجارة في صحار التي أصبحت مركزا تجاريا عالميا للمسلمين وغير المسلمين[1].

وعندما وصل الرعيل الأول من الأوربيين إلى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح بقيادة البحارة البرتغاليين في القرن الخامس عشر الميلادي، كان العُمانيون منتشرين في المدن المزدهرة والراقية المبنية من الحجارة (Stone Townes) بطول ساحل إفريقيا الشرقي منها (بيت- Pate)، و(سفالة- Sofala)، و(كلوة- Kilwa)، و(ممباسا- Mombasa)، و(مالندي- Malindi)، و(مقديشيو- Mogadishu)، و(بيمبا- Pemba)، و(زنجبار- Zanzibar) . وكان العُمانيون في تلك المناطق يمارسون التجارة ويتفاعلون مع الأفارقة حضاريا ويتعايشون معهم اجتماعيا وثقافيا. كما كان البحارة العُمانيون يجوبون بسفنهم الشراعية الجزء الغربي من المحيط الهندي ينقلون السلع والمسافرين بين عُمان والهند وشرق إفريقيا، منهم البحار العُماني الشهير

---

(1) Wilkinson, 1981

أحمد بن ماجد الذي يعود إليه الفضل في وصول (فاسكو دي جاما- Vasco da Gama) إلى سواحل الهند الغربية[1]. وبعد أن وصلوا بسفنهم إلى شرق إفريقيا وعُمان وبقية الأجزاء من سواحل شبه الجزيرة العربية، كان البرتغاليون بقيادة (أفونسو دالبوكيرك- Afonso d'Alboqurue) الذي وصل عُمان في 1507 هم أول الأوربيين الذي تفاعلوا مع العُمانيين، إلا أن ذلك التفاعل لم يكن حضاريا بل استعماريا محضا جلب لعُمان وللعُمانيين الاستعمار والدمار ونكسة حضارية امتدت إلى القرن السابع عشر الميلادي، حينئذ تمكن العُمانيون تحت قيادة الإمام المنتخب ناصر بن مرشد اليعربي (تولى الإمامة: 1615-1640م) من توحيد صفوفهم وإخراج المحتل البرتغالي من عُمان ومطاردته في الجزء الغربي من السواحل الهندية وشرق إفريقيا وإخراجهم من كثير من معاقلهم وتحصيناتهم[2].

وهنا برزت عُمان دولة وطنية موحدة وقوة إقليمية صاعدة في القرن السابع عشر الميلادي تحت قيادة الأئمة اليعاربة، تمكنت من هزيمة البرتغاليين وصارت لها مكانة تجارية مرموقة في المحيط الهندي، تزامن مع اندفاع عدد من القوى الأوربية إلى المنطقة منها (هولندا وبريطانيا وفرنسا

---

(1) Phillips, (1967)
(2) المرجع السابق.

وروسيا وإسبانيا وألمانيا وإيطاليا). لم تكن تلك الدول الأوربية متنافسة وحسب فيما بينها على إقامة علاقات تجارية ودبلوماسية مع الدول والقوى الإقليمية بما فيها عُمان، وإنما أيضا متصارعة للسيطرة على المنطقة والهيمنة على شعوبها ودولها. فبريطانيا على سبيل المثال تمكنت في 1688م من نزع الهيمنة على مضيق هرمز من خصومها الهولنديين واقتلعتهم منه نهائيا في 1798م، وعمدت إلى العمل نفسه مع فرنسا، يقول (فرانسي وارن- France Warden) "لقد كانت سياستنا في تلك المدة [1783-1797م] موجهة بشكل نشط نحو إبطال مكائد بونابرت في فارس والخليج من أجل القضاء على تطلعه نحو الهند"[1].

وكدولة منفتحة على العالم بما فيه القوى والدول الغربية القادمة إلى المنطقة، عملت عُمان على إقامة علاقات تجارية ودبلوماسية متوازنة مع سائر الدول الغربية. فكانت أول معاهدة تجارية وقعتها عُمان مع بريطانيا في فبراير 1646م وذلك في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. ثم وقعت بريطانيا في 1798م اتفاقية مع السيد سلطان بن أحمد، إلا أن هذه الاتفاقية فتحت المجال واسعا لتدخل بريطانيا في الشأن العُماني. وقد تلت تلك الاتفاقية اتفاقيات أخرى منها ما عرف باسم (التعهد المانع) الذي فرضته بريطانيا على السلطان فيصل بن تركي في 1891م وقد

---

(1) Warden، 1985 ص 172

وصف الكاتب البريطاني بترسون ذلك التعهد قائلا "بمقتضى هذه الاتفاقية اتخذ الإنجليز موقعا رسميا عاليا في عُمان، وأصبحت عُمان أقرب ما يمكن أن تصبح جزءا رسميا من الإمبراطورية البريطانية"[1]. وتعود علاقة عُمان مع فرنسا إلى القرن السابع عشر ميلادي حيث كانت مسقط المرسى المفضل للسفن الفرنسية المبحرة في المنطقة، وكانت عُمان الممول الرئيس بالمؤونة لجزيرتي موريشوس والريونهيون الواقعتين في الزاوية الجنوبية للمحيط الهندي. وفي القرن الثامن عشر وطد الإمام أحمد بن سعيد (حكم 1749-1783م) علاقته التجارية والعسكرية بفرنسا. كما وقعت عُمان في 1833 اتفاقية صداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية نشأ عنها فتح سفارتين للولايات المتحدة واحدة في مسقط والثانية في زنجبار.

هذا الموروث البحري والموقع الاستراتيجي والانفتاح على العالم جعل ميناء مسقط مفضلا للبحارة الأوربيين. فقد قال الرحالة الدانماركي (كارستن نيبور- Carsten Niebuhr) الذي زار مسقط في القرن الثامن عشر الميلادي، "أهم مدن عُمان وأكثرها شهرة بالنسبة للأوربيين هي مدينة مسقط... تحيط به من الشرق صخور منحدرة يمكن أن تحتمي بها أكبر السفن من الرياح، ومن جهتي هذا المرفأ الجميل، هناك عدد من السرايا بالإضافة إلى حصون صغيرة أهمها حصنا الميراني والجلالي اللذان

(1) Peterson, 1978 ص 141

يستندان إلى صخور عالية ومنحرفة تؤمن لهما الحماية من جهة البحر... وهكذا فإن الطبيعة والفن قد اشتركا في تعزيز مدينة مسقط وحمايتها، وقد كانت ولا تزال المرفأ للبضائع القادمة من شبه جزيرة العرب وبلاد فارس والهند"[1].

وقد تفاعل موقع عُمان الاستراتيجي كدولة بحرية تتربع على الجزء الشرقي الشمالي من شبه الجزيرة العربية ومركزا تجاريا يقع بين الهند وشرق إفريقيا ومنطقة الهلال الخصيب، مع استقلالية سياسية اتسمت بها عُمان طول تاريخها. فمنذ ما قبل الإسلام وعُمان بلد مستقل على رأسها حاكم من أبناء شعبها، وكيان قائم بذاته لا تخضع بالتبعية لأي دولة أخرى، باستثناء أوقات معينة دخلت فيها عُمان في مراحل ضعف وقعت فيه بعض أجزائها تحت سيطرة قوى أجنبية غازية أو صراع وتمزق داخلي وفراغ في السلطة المركزية الحاكمة. وقد سهل وجود حاكم مستقل يتخذ القرار ويدير شؤون البلاد من مسقط عاصمة عُمان، في وصول الرحالة إلى عُمان وتمتعهم بالحماية في أثناء إقامتهم وحصولهم على الإذن بالقيام بجولات سواء في العاصمة أم إلى المناطق الأخرى من عُمان. فكان الإمام أو السلطان كثيرا ما يستقبل في قصره هؤلاء الرحالة وربابنة السفن المتوقفة والزائرة ويلتقي كبار الشخصيات من المسافرين فيها. فقد كتب ضابط

---

(1) نيبور، 2013 ص 264

البحرية الملكية البريطانية الجنرال (فليكس هيج- Felix T. Haig) الذي زار مسقط في 1887 والتقى السلطان تركي بن سعيد في قصره في مسقط قائلا "لقد كان سموه مهذبا ولطيفا معي للغاية. وعندما ذهبت لأطلب منه الإذن بالمغادرة تقبل مني نسخة من العهد الجديد... وبعد عودتي إلى بيتي أرسل خلفي رجلا يطلب مني أن أريه الرداء الذي ألبسه عندما أقوم بالوعظ لكي يخيط لي واحدا هدية من عنده"[1]. وكان الأوربيون ينظرون إلى استقبال السلاطين لهم على أنه ضرب من البروتوكولات السلطانية، تنم عن الوجاهة الممزوجة بالطابع الشرقي المميز، وعلو المنزلة والمكانة. فقد كتب الرحالة الفرنسي الأديب (بيير لوتي- Pierre Loti) عن استقبال السلطان فيصل بن تركي له في 1900 قائلا "كان هناك رجلا يرتدي قميصا أبيضا ويضع على كتفيه عباءة (برنوسا) داكنة بشرابة مذهبة، له عينان كبيرتان جميلتان، ووجه أسمر فاتح يعكس رجلا في الثلاثين بخطوط منتظمة ورهيفة، يشع بابتسامة واضحة مرحبة، هكذا بدا لي في شرفة منزله، هذا الإمام – السلطان حاكم مسقط، الذي يحكم أحد آخر البلدان المستقلة العربية، أحد آخر البلدان التي لا تتعطل فيها الصلوات الخمس بسبب سخرية غير المؤمنين. كان أجداد هذا السلطان ملوكا لعدة قرون قبل أن تخرج من الظلام عائلاتنا الكبرى

---

(1) Haig، 1902 ص 179

التي تبسط نفوذها على أوربا. فلهذه الرقة الأرستقراطية والأبهة الساحرة مصدر وخلفية. أما القاعة الموجودة في الأعلى، حيث أجلسني فقد كانت محيرة ببساطتها وجدرانها ذات البياض المنسق وأرائكها من التبن، ولكنها تشرف من كل نوافذها على الزرقة الرائعة لبحر الجزيرة العربية، مع المراكب الشراعية الراسية والأسطول الثابت لصيادي اللؤلؤ... وقد جاءني بهديتين ثمينتين من السلطان، خنجر غمده من الفضة له سيف معقوف قبضته من الذهب"[1].

الرحالة والمستشرقون من جانبهم كانت لهم دوافعهم الخاصة التي جعلتهم يهتمون بعُمان زيارة وتجوالا وبحثا وكتابة. (بريان مارشال- Brian Marshall) كتب عن تلك الدوافع والأسباب قائلا "لقد وفرت عُمان بكل تأكيد كل التحديات التي يمكن أن تقدمها أي أرض مجهولة لأي شخص يود أن يصبح مغامرا. فقد كان معظم المغامرين يعتقدون أنهم يقومون بما هم عليه من أجل مصلحة بلدهم أو لأجل العِلْم، أو من أجل الإنسانية. فيمكننا أن نرى أن تفكير المغامرين في عُمان يصب في هذا الإطار. ومع ذلك يمكن تحديد أسباب أكثر دقة دعت المغامرين للتجوال في عُمان. ومن أهم تلك الأسباب هو جمع معلومات مخابراتية من أجل حماية المصالح الإمبريالية البريطانية في المنطقة وفي الهند. ففي

([1]) مسعودي، 2014 ص 99

القرن التاسع عشر كان النفوذ التجاري في منطقة الخليج الذي تمارسه شركة الهند الشرقية يتحول تدريجيا إلى هيمنة سياسية من قبل التاج البريطاني. ومع بداية القرن العشرين أصبح الخليج عمليا بحيرة بريطانية، وأشارت منشورات وزارة الخارجية البريطانية في 1920 أن بريطانيا العظمى وحدها المسؤولة في الخليج الفارسي عن الأعمال البوليسية والمسوحات والرسومات والإنارة والعوامات (FO, 1920, 68). وكانت الرحالات التي قام بها شخصيات من أمثال (ولستد- Wellsted) و(هامرتون- Hamerton) و(بنجلي- Pengelly) و(مايلز- Miles) و(كوكس- Cox) إنما هي أساسا عمليات لجمع المعلومات المخابراتية إما لحماية المصالح الإمبريالية لبريطانيا العظمى أو لتعزيز نفوذها. وهذا يفسر بشكل جزئي قلة الرحالة من غير الإنجليز في عُمان، ويقلل من الاستعجاب من أسباب النظر إلى الرحالين الآخرين مثل (موريزي- Maurizi) و(بالجريف- Palgrave) على أنهم جواسيس. وبتمدد النفوذ السياسي البريطاني ظهرت الحاجة إلى الحفاظ على سلامة السفن البريطانية المبحرة في المنطقة. فعقب العمل العقابي الذي قامت به القوات البريطانية في 1819 أتاحت المعاهدة العامة للسلام للحكومة البريطانية القيام بمراقبة المياه في الخليج. وقد نتج عن المسوحات المائية المكثفة على طول السواحل العُمانية بين 1820 و

1860 صدور رسومات أصبحت ضرورية لتأمين سلامة السفن التي تقوم بالأعمال الشرطية في هذه المياه. وإلى جانب تلك الرسومات صدر سيل من المنشورات من جانب الضباط المشاركين في المشروع مثل (هينس- Haines) و(بركس- Brucks) والأشقاء (وايتلوك- Whitelock brothers) و(ساندرز- Sanders) و(كارتر- Carter)، و(ولستد- Wellsted) و(ورد- Ward) و(كول- Cole)، و(هلتون- Hulton) و(كرتندن- Cruttenden) و(ويش- Whish) و(كونستيبل وستيف- Constable and Stiffe) الذين كتبوا بالتفصيل عن الطبيعة الطوبوغرافية والوضع الاجتماعي والاقتصادي للسواحل التي كانوا يرسمونها"[1].

ويضيف مارشال كذلك أن هناك أيضا أسبابا علمية دفعت الرحالة الأوربيين للمغامرات في عُمان. "فالرحالة (أوتشرإلوي- Aucher-Eloy) جاء إلى عُمان خصيصا لجمع عينات من النباتات، في حين قام أعضاء من فريق مكافحة الجراد بجمع عينات الجراد. وفي واقع الأمر أن عينات لا بأس بها من النباتات والطيور والحيوانات والحشرات والصَدَف جمعها الرحالة من عُمان حتى وإن كان الهدف المعلن من جولاتهم مختلف. وأصبحت تلك العينات موضوعات لعدد من الأوراق

---

(1) Marshall، 1994 ص 5.

الأكاديمية لخبراء في بريطانيا. وقد قام عدد من الجيولوجيين مثل (كارتر وبلاندفورد- Blandford) و(بيلجريم- Pilgrim) و(ليس- Lees)، و(فوكس- Fox) و(ديفيس- Davis) إلى جانب الآخرين بعمل الخرائط ونشر التقارير. كما قام معظم الرحالة في عُمان بنشر المعلومات الجيولوجية والطبوغرافية بمستويات متفاوتة من الجودة"[1].

ويؤكد مارشال كذلك "أن الأعمال المسحية التي قام بها (وليم أون- William Owen) أظهرت الفرص التجارية خاصة مع شرق إفريقيا، في حين أن الرحلات التي قام بها (صاموئيل زويمر- Samuel Zwemer) و(هارولد ستورم- Harold Storm) و(بول هاريسون- Paul Harrison) كانت نتاجا لنشاطاتهم التنصيرية والطبية. وأما (سوندرز- Saunders) فقد ارتحل خلال عُمان لأن سفينته تحطمت، وكذلك كان الجزء من رحلة بالجريف في عُمان سببه تحطم سفينته. كما أن حب المغامرة وتحدي المجهول يفسران الرحلات التي قام بها (ثيودور ومابل بنت- Theodore and Mable Bent) و(برترام توماس- Bertram Thomas) و(ويلفرد ثيسيجر-

(1) المرجع السابق، ص 6.

Wilfred Thesiger). كما يمكن النظر إلى جولات ثيسيجر بأنها رحلة لمعرفة الذات ورحلة الى الوطن الروحي حيث يمكنه أن يجد هويته"[1].

بكل تأكيد، هناك أسباب أخرى متنوعة ومتعددة دعت الكتاب والباحثين الغربيين للكتابة عن عُمان أو الترحال في ربوعها. فالدبلوماسي والباحث الفرنسي (غزافيي بلكوك- Xavier Beguin Billecocq) صاحب كتاب (عُمان: خمسة وعشرون قرنا من أدب الرحلات- Oman: twenty five years of travel writing)، ذكر بأن ما دفعه إلى تأليف الكتاب هو خليط من حب الاطلاع على الكتب التاريخية التي تناولت مغامرات الرحالة الأوربيين الأوائل، والوفاء لأجداده الذين كان لهم دور في الكتابة عن عُمان والعيش على أرضها. فيعود الفضل في إذكاء شغفه بالكتابة عن عُمان أولا إلى جده الرابع (جون باتيست بيلكوك- Jean-Baptiste Billecocq) مترجم كتاب (رحلة نيارك- Voyage of Nearchus) للمؤلف البريطاني (وليام فانسنت- William Vincent) الذي كتب عن رحلة الإسكندر الأكبر في المحيط الهندي وعُمان، يقول غزافيي بلكوك "قام جدي الرابع بترجمة رحلاته [الإسكندر الأكبر] البحرية ، مما جعلني أدرك قيمة الاكتشافات التي قام بها أول رحالة

([1]) المرجع السابق، ص 6.

أوربي للمحيط الهندي وشواطئ عُمان"[1]. وأما الجد الثاني الذي أراد غزافيي الوفاء له فهي جدته (لويز بيجان بيلكوك- Louise Beguin Billecocq) زوجة (جين بيجوين بيلكوك- Beguin Billecocq Jean) القنصل الفرنسي في مسقط في بداية القرن العشرين. فقد جمعت الجدة لويز البوما من الصور في أثناء إقامتها في عُمان وجد فيه غزافيي مادة علمية لإصدار كتاب بعنوان "قنصل فرنسي في مسقط عام 1905" الذي تم نشره بالتزامن مع افتتاح المتحف العُماني- الفرنسي بمسقط (بيت فرنسا). والسبب الثالث هو زيارته لعُمان في عام 1992م من ضمن الوفد الرسمي المرافق للرئيس الفرنسي جاك شيراك الذين كان حينها يزور السلطنة تلبية لدعوة من صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم. يقول غزافيي بلكوك "وهكذا فقد أثارت ثلاثية الرحلات العائلية هذه فضولي، وراودتني فكرة البحث عن الرحالة الذين توقفوا بالشواطئ العُمانية لأسباب متنوعة سواء كانت سياسية أم دينية، أم عسكرية، أو تجارية أم علمية أم سياحية. وبعد ثلاث سنوات من البحث والتقصي، توصلت، يوما بعد يوم، إلى اكتشاف نصوص تارة معروفة وتارة مجهولة تماما أو راحت أدراج النسيان، نصوص مثيرة للدهشة في الغالب، مصدرها رجال أو نساء ذوي شخصيات متنوعة شائقة.

---

(1) Billecocq، 1994 ص 1.

ويسمح تنوع وأصالة هذه النصوص بإلقاء الضوء، من خلال أقوال حقيقية، على الماضي العريق لشبه جزيرة عُمان منذ عهد الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد"[1].

إن تتبع كل الأسباب التي دعت الرحالة والمستشرقين الغربيين إلى التجوال أو الكتابة عن عُمان لا يتأتى لهذه الدراسة، فالأسباب والدوافع تتعدد بتعددهم، وتتنوع بتنوع اهتمامات كل واحد منهم، وتختلف من شخص إلى آخر حسب الظروف والوقت والغاية من الكتابة. فوراء كل رحلة سبب، ووراء كل رحالة دافع، ولكل كتاب أو منشور أو دراسة استشراقيه عن عُمان هدف أو أهداف يمكن الرجوع إليها في المنشور نفسه ودراستها من خلال الاطلاع على محتوياته.

من هم الرحالة والمستشرقون الغربيون:

الرحالة والمستشرقون الذين كتبوا عن عُمان هم مواطنو الدول الأوربية والغربية التي أقامت علاقات دبلوماسية وتجارية وعسكرية مع عُمان. ويأتي في مقدمة تلك الدول بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. ورغم أن عُمان جذبت اهتمام المستشرقين والرحالة من الكثير من الدول الغربية إلا أن الرحالة والمستشرقين البريطانيين الذين زاروا عُمان

---

(1) المرجع السابق، ص 1.

وكتبوا عنها هم أكثر عددا من نظرائهم من الدول الأخرى وذلك بسبب تمكن العلاقة البريطانية العُمانية مقارنة بعلاقة عُمان مع الدول الأوربية والغربية الأخرى، وكذلك بسبب هيمنة بريطانيا العسكرية على المنطقة بشكل عام وإبعادها لأي تدخل من القوى الغربية المنافسة يمكن أن يزعزع من هيمنتها على المنطقة. وقد استمر الوضع كذلك حتى عام 1970 وهو تاريخ مفصلي ليس في ظهور عُمان كدولة معاصرة وحسب وإنما كذلك كدولة تملك زمام اتخاذ قرارها الوطني في إقامة علاقاتها الدبلوماسية مع دول العالم وفق مصالحها ورؤيتها الخاصة مما جعلها أكثر انفتاحا وجذبا للباحثين والرحالة والكتاب من كثير من دول العالم.

وكمثال على هيمنة البريطانيين على المجال الإستشراقي والتجوال في عُمان قبل عام 1970، قام بالمسوحات البحرية للشواطئ العُمانية والمناطق المتاخمة لها بالخليج العربي بحارة بريطانيون وسفن تابعة للبحرية البريطانية وهيئات مثل (بحرية بومبي Bombay Marine). فأول عملية مسح بحري قامت بها (بحرية بومبي Bombay Marine) بدءا من عام 1772 وذلك في المنطقة الواقعة بين مسقط وراس الحد، كما قام فيليب موجان (Phillip Maughan) وجون أم جاي (John M Guy) و جي بي بركس (G. G. Brucks) بمسوحات في شبه مضيق هرمز والخليج العربي بين 1820-1829. كما قام بالجولات

الريادية الطويلة في عُمان الداخل أفراد بريطانيون مثل ضابط البحرية الملكية البريطانية جيمس ريموند ولستد (James Raymond Wellsted) وزميله (فرانسيس وايتلوك- Francis Whitelock) اللذان جابا عُمان في 35-1837، و(صامؤيل باريت مايلز- Samuel Barrett Miles) الذي شغل منصب القنصل البريطاني في مسقط بشكل متقطع بين 1872 و 1787 فاستغل الفرصة للقيام بجولات في كثير من المناطق العُمانية، وهو ما خوله لكتابة تقارير مفصلة عن عُمان وجغرافيتها وتاريخها والناس والعادات والتقاليد منها كتابه الشهير (الخليج الفارسي: دوله وقبائله- Countries and Tribes of the Persian Gulf). ومن الرحالة البريطانيين المشهورين أيضا الضابط البريطاني (برترام توماس- Bertram S. Thomas) (1892-1950) الذي عمل لدى السلطان تيمور بن فيصل مستشارا خاصا ووزيرا للمالية بين (1925-1932). فقد قام برترام توماس جولات استكشافية عدة في عُمان مدعومة من قبل (الجمعية الملكية للجغرافيا- Royal Society of Geography) البريطانية. ومن الجولات التي قام بها برترام توماس الرحلة البرية من رأس الحد إلى صلالة بين عام 1927-1928م وقام

برحلة أخرى في 1929–1930 من ظفار إلى التخوم الرملية في الربع الخالي.

لم يقف أثر العلاقة القوية للدبلوماسية البريطانية في عُمان عند زيادة عدد الرحالة والمستشرقين البريطانيين الذي اهتموا بعُمان مقارنة بغيرهم من حملة الجنسيات الأخرى، بل تعداه إلى تدخل الدبلوماسيين البريطانيين المقيمين في مسقط للحيلولة دون قيام غير البريطانيين بجولات في عُمان. فقد عمد المقيم البريطاني في مسقط إلى منع الإرساليين الأمريكيين المقيمين منذ 1893م في مسقط من الذهاب إلى المناطق الأخرى من عُمان حتى عندما تقدم إليهم الدعوات من زعماء القبائل في تلك المناطق للقدوم إليها لتقديم العلاج للمرضى مع ضمان أمن الطبيب وسلامته وتوفير الحراسة له[1]. لذا كان الأرساليون في بعض الأحيان يقومون بجولات خارج مسقط بدون طلب الإذن من المقيم البريطاني. ففي عام 1932م قام الطبيب هارولد ستورم بجولة طبية في ظفار بدون إذن من المقيم البريطاني في مسقط مما أثار حفيظته وكتب إلى السلطان قائلا "إني على ثقة بأن الإرساليين الأمريكيين سيدركون حماقة أساليبهم وسيندمون على سلوكهم السيء"[2]. كما فعلت الشيء نفسه الممرضة

---

(1) Joyce, 1995

(2) المرجع السابق، ص 27

جانيت بورسما في 1960م عندما اندست في سيارة تقل مجموعة من العُمانيين للقيام بجولة وصلت خلالها إلى قرية الحزم بالرستاق[1]. لذا قام الإرساليون في مسقط بإبلاغ حكومة بلدهم بسلوك السلطات البريطانية في مسقط. ففي أثناء سفر القنصل الأمريكي (جون راندولف – John Randolph) إلى بغداد في 1932م وتوقفه في مسقط لمدة قصيرة التقت به الطبيبة الأمريكية سارة هوسمون ورفعت إليه شكوى ضد سلوك السلطات البريطانية التي قيدت حريتها في التجوال ومنعتها من شراء قطعة أرض في مسقط[2].

جاء كذلك إلى عُمان رحالة غربيون وكتب عنها مستشرقون قبل 1970 وليس لدولهم حينئذ علاقات دبلوماسية وإنما كانوا يقومون بدراسات أولية عن حوض المحيط الهندي والدول المطلة عليه أو البحث في الفرص التجارية مع عُمان ودول المنطقة بشكل عام، أو دفعتهم أسباب خاصة وعوامل خارجية إلى هذا الجزء من العالم. فعلى سبيل المثال، يعد (دانيال ساندرز Daniel Saunder) (1772- 1825) أول مواطن أمريكي يكتب عن عُمان إلى جانب كونه أول الأوربيين الذين قاموا برحلة برية طولية في عُمان وذلك في عام 1792. لم تكن رحلة

---

(1) Boersma, 1991

(2) Joyce, 1995

ساندرز في عُمان مخطط لها مسبقا بل جاءت مصادفة وذلك عندما تحطمت سفينته (كوميرس- Commerce) على الصخور المرجانية في شواطئ صلالة في 10 يوليو 1792. وبعد أن تمكن هو وزملاؤه السبعة والعشرون بحارا من النجاة إلى الشاطئ، قرروا الذهاب إلى مسقط عن طريق البر. وصل دانيال مسقط بعد 51 يوما من رحلة شاقة هلك خلالها 19 من رفاقه. كتب دانيال عن معاناته تلك وملاحظاته عن الناس وأسلوب حياتهم في المناطق التي عبرها من صلالة إلى مسقط، وتم نشر الكتاب بأمر من الكونجرس الأمريكي وأعيدت طباعته مرات عدة في الولايات المتحدة الأمريكية. كما كتب (دي شافيت- D. Shavit) في كتابه الذي أرخ للوجود الأمريكي في الشرق الأوسط عن دانيال ساندرز باعتباره من أول الشخصيات الأمريكية التي سجلت حضورا للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة[1].

القيمة العلمية والتاريخية والثقافية لكتابات الرحالة والمستشرقين عن عُمان:

ترك الرحالة والمستشرقون الغربيون الذين زاروا عُمان وكتبوا عنها إرثا معرفيا ضخما. فقد كتبوا عن جغرافية عُمان وعن شعبها وثقافته

---

(1) Marshall، 1994.

وتاريخه وعاداته وتقاليده. وكان الرحالة شديدي الملاحظة، كثيري التدوين، يهتمون بالتفاصيل الدقيقة بقدر اهتمامهم بالظواهر العامة مما أعطى كتاباتهم عمقا علميا وتفصيلا مستفيضا للأحداث والأشخاص والظواهر، وتحليلات مدعومة بالأدلة والشواهد. ومن اللطائف المرتبطة بهذا الجانب ما ذكره صاموئيل مايلز في أثناء رحلته إلى الجبل الأخضر في 1876م أنه التقى ببعض الرجال من أهل قرية (سيق) ممن يتذكرون وصول الرحالتين ولستد ووايتلوك إلى المكان نفسه في 35-1836م، وذكرا عنهما أنهما يقضيان معظم وقتهما في الكتابة ويجمعون عينات من الكائنات الحية. يقول مايلز "وجدت بأنهما يحتفظان بانطباع واضح حول الحَدَث، وقد أشارت بياناتهما بشكل مضحك إلى ضيق الأفق الذي نظرا به إلى الغربيين. فقد تذكرا، بشيء من العجب والدهشة بأن الضابطين كانت لديهما خيم، وقد استعملا آلات نحاسية للتحديق في الشمس، وصرفا معظم وقتهما في الكتابة، وكانت لديهما زجاجة مليئة بالثعابين"[1].

الموروث الثقافي الذي تركه الرحالة والمستشرقون عن عُمان يتنوع بين الكتابات السردية للتجارب الشخصية، والمقالات العلمية المنشورة في المجلات والدوريات، والمؤلفات الموسعة في التاريخ، والتقارير الصحفية، والصور الفوتوغرافية، وتسجيلات الفيديو، والخرائط، والوثائق الرسمية التي

([1]) الحجري، 2010، ص 278.

كان يكتبها الممثلون السياسيون والدبلوماسيون في السفارات الغربية في مسقط لا سيما السفارة البريطانية ثم أصبحت متاحة إرشيفيا للباحثين والدارسين.

وقد ألف الرحالة والمستشرقون تلك المواد عن عُمان ونشروها في وقت كانت فيه حركة التدوين والتأليف والنشر غائبة عن أغلبية أبناء المجتمع العُماني سوى بعض كبار العلماء والقضاة الذين يؤلفون في مواضيع محددة مثل الفقه واللغة والشعر.

لذا يعود الفضل إلى الرحالة والمستشرقين في حفظ الكثير من التفاصيل عن عُمان والأحداث التي وقعت فيه والأشخاص الذي عاشوا عليه في أثناء وجود الرحالة أو كتابة التقارير أو الكتب. ولولا تلك الجهود التي قام بها الرحالة والمستشرقون لطمس النسيان الكثير من المعلومات والحقائق المهمة التي تُكَوِن المادة التاريخية لعُمان وشعبها وعلاقته بأمم وشعوب العالم. فعلى سبيل المثال، بالرغم من أن المنصرين الغربيين عاشوا ونشطوا في عُمان لأكثر من سبعة وسبعين عاما، منذ أن أنشأ بيتر زويمر (Peter Zwemer) مكتبا للإرسالية العربية الأمريكية في مسقط في 1893م وإلى عام 1970 عندما أصدر السلطان قابوس أوامره إليهم بمنع التنصير العلني في عُمان، لا نجد ذكرا في المصادر العُمانية لهذا النشاط ولمن قام به. وفي المقابل كتب الإرساليون أنفسهم تفاصيل دقيقة عن

نشاطهم التنصيري في عُمان، وجولاتهم في مختلف ربوعه، وكتبوا عن الإنسان العُماني وثقافته وسلوكه الاجتماعي وتدينه وعن الإسلام وخصائصه. ونشر المنصرون ما كتبوه في الكتب والدوريات مثل دورية (الجزيرة العربية المهملة- Neglected Arabia) وكتاب (الجزيرة العربية مهد الإسلام- Arabia: the cradle of Islam) لصامؤئيل زويمر، وكتاب (طبيب في الجزيرة العربية- Doctor in Arabia) للطبيب بول هاريسون. كذلك، كان لوريمر (Lorimer) قد أصدر في 1915 كتابه الموسوعي (دليل الخليج الفارسي وعُمان ووسط الجزيرة العربية- Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia) قبل أن يصدر للعُمانيين في القرن العشرين الكتابين الوحيدين في التاريخ- أي قبل 1970- وهما "تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان" للإمام نور الدين السالمي (1284-1332هـ/ 1868-1914) و"نهضة الأعيان بحرية عُمان" لأبي البشير محمد بن عبدالله السالمي (1314-1405هـ/ 1896-1985م).

تشكل المواد التي تركها الرحالة والمستشرقون بمختلف أنواعها وموضوعاتها مصادر للكتاب والباحثين المعاصرين وليس بسبب تدوينها للأحداث وإنما كذلك لاحتوائها على المادة العلمية والتاريخية التي لا توجد في المصادر والكتب العُمانية. فعلى سبيل المثال، المعلومات المفصلة التي

يريدها الباحث أو المطلع المعاصر عن الوجود البرتغالي في عُمان الذي استمر زهاء مئة وخمسين سنة لا يجدها في كتب التاريخ التي كتبها العُمانيون لأنهم لم يكتبوا الكثير عن تلك الحقبة، وإنما سيجدها في كتب المستشرقين من أمثال (وندل فيلبس- Wendell Phillips) (عُمان: تاريخا- Oman: a history). بل إن هذا الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى في 1967 في المملكة المتحدة يُعَدُّ كما يقول مؤلفه أول كتاب يعنى بالتاريخ العُماني وفق الأسلوب العصري للتأليف وكتابة التاريخ. والإضافة الأخرى في أهمية الكتاب تنبع من أن مؤلفه "استقى مادته وبدون تحفظ من العلماء المشهورين عالميا بالشرق الأوسط، والمستشرقين، والمستعربين، والعرب المختصين في الشؤون العسكرية والسياسية"[1]، مما يجعله ذا بعد عالمي بخلاف العديد من الكتب العُمانية التي تقدم المعلومة من منطلق عُمان، وفي الوقت نفسه يرشد الكتاب الباحث إلى مصادر ومراجع إضافية ليست أقل أهمية للتاريخ العُماني.

كما أنه على يد المستشرقين ظهرت الكتابة التخصصية والكتب المتخصصة في طرح مواضيع محددة ومركزة في التاريخ والثقافة العُمانية مثل كتاب (جون وليكنيسون- John Wilkinson) (تقاليد الإمامة في عُمان- The Imamate Tradition of Oman)، الذي

(1) Phillips, 1867، ص xii.

صرف فيه المؤلف الجهد لمناقشة الفقه السياسي وفق المنظور الإباضي في عُمان ممثلا في موضوع الإمامة. وهذا الكتاب يقدم كذلك أنموذجا على الاستشراق من منطلق أكاديمي، فقد حصل مؤلفه جون ويلكينسون على منحة أكاديمية ودعما أكاديميا من عدد من الأساتذة الجامعيين المهتمين بالشأن العُماني والمؤسسات البحثية التي أتاحت له فرصا للاطلاع والبحث في المخطوطات والوثائق والمدونات والمراجع التي تخدم موضوعه عن عُمان كتلك المنحة التي حصل عليها من جامعة هارفرد ومكتبة المركز الإفريقي في جامعة بوسطن[1].

والكتابان السابقان ليسا الوحيدين في التاريخ العُماني للمستشرقين، فهناك على سبيل المثال كتاب الباحث في مكتب الكونجرس بواشنطن (جون بيترسون- John Peterson) الذي ألف كتابه (عُمان في القرن العشرين- Oman in the twentieth century) معتمدا على الروايات الشفوية من عُمان ولندن والكتب والوثائق والمقالات الأكاديمية. وكتاب (دوقة سانت البانز سوزان بيكلر - St the Duchess of St Albans Suzanne Beacler) (حيث يقف الزمن جامدا- Where Time Stood Still). وتأتي في الإطار نفسه الكتب التي ألفها ضباط وقادة القوات الخاصة

---

(1) Wilkinson, 1987

البريطانية (SAS) الذين شاركوا في الحروب ضد الثوار كحرب الجبل الأخضر أو حرب ظفار منهم الرائد (السير بيتر دي لا بيلير – Sir Peter De La Billiere) صاحب كتاب (البحث عن المشكلة– Looking for trouble)، الذي تحدث عن تجربته في 1958 بقيادة مجموعة من القوات الخاصة البريطانية لاختراق المقاتلين العُمانيين من أنصار الإمامة المتحصنين في الجبل الأخضر[1]. ويوجد كذلك كتاب (كِن كونور –Ken Connor) الذي تطرق في كتابه (القوة الشبح– Ghost Force) إلى مشاركاته مع القوات الخاصة البريطانية في حرب الجبل الأخضر وحرب ظفار[2]. وتأتي في السياق نفسه مؤلفات الصحفيين الغربيين الذين شاركوا في التغطية الإعلامية لتلك الحروب مثل (توني جيراثي– Tony Geraghty) في كتابه (من يستطيع أن ينتصر– Who dares wins) الذي تطرق إلى حرب الجبل الأخضر (1958–1959) والحرب في ظفار في (1970–1976)[3].

الوجه الآخر للأهمية العلمية لتراث الرحالة والمستشرقين يتمثل في الدراسات التي أجريت حول ذلك الموروث والندوات التي عقدت لمناقشتها والكتب التي ألفت فيها. فقد انبرى العديد من الباحثين من العُمانيين

---

(1) Billiere, 1994
(2) Connor, 1998
(3) Geraghty, 1980

وغير العُمانيين يكتبون عن الرحالة الغربيين الذين جاءوا إلى عُمان والمستشرقين الذين كتبوا عنها. على الصعيد العُماني، قام الباحث بدراسة موسعة عن أنشطة الإرسالية العربية الأمريكية في عُمان، وتتبع جولات الإرساليين في مختلف المناطق الساحلية والداخلية، معتمدا على ما كتبوه من تقارير وألفوه من كتب ودراسات حول عملهم في هذا الجانب[1]. كما تأتي أطروحة الدكتور هلال الحجري لنيل درجة الدكتوراة من جامعة ورك بعنوان (عُمان بعيون بريطانية– Oman through British eyes: British travel writing on Oman from 1800 to 1970)، وكتابه (غواية المجهول: عُمان في الأدب الإنجليزي) كنموذج للاهتمام على المستوى الأكاديمي بدراسة الرحالة والمستشرقين الغربيين الذين اهتموا بعُمان وكتبوا عنها. وعلى مستوى آخر، نظمت الجامعة العربية المفتوحة بمسقط ملتقى في فبراير 2012 تحت عنوان (الاستشراق في عُمان: رؤية وتحليل) شارك فيه ستة باحثين عُمانيين وعرب

([1]) الحسيني، سليمان. (2014) الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام. نزوى: جامعة نزوى، مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية.

بأطروحات حول مجالين أساسيين هما الحضارة العُمانية وأبعادها في مدونات المستشرقين؛ والشخصية العُمانية في كتب المستشرقين[1].

على مستوى الدراسات الغربية الحديثة التي عنيت بالرحالة والمستشرقين الغربيين الذي اهتموا بعُمان، يوجد كتاب (فيليب وورد – Philip Ward) (الترحال في عُمان: في خطى المكتشفون الأوائل– travels in Oman: on the track of the early explorers). فقد تتبع وورد الرحلات التي قام بها في عُمان (ثيودور بنت– Theodore Bent)، (كول– Cole)، (كوكس– Cox)، (اكلس– Ecceles)، (انجلبرت كامبفر– Kaempfer)، (هينس– Haines)، (هامرتون– Hamerton)، (ليود مايلز– Loyd Miles)، (بنجلي– Pengelley)، (ستيف بي توماس– Stiffe B. Thomas)، (سي وورد– C. Ward)، (ولستد وايتلوك– Wellsted)، (وايتلوك– Bent)، إضافة إلى الحمداني وابن بطوطة، وعرض ما كتبه أولئك عن مسقط وضواحيها والساحل الممتد من

(1) الدرمكي، عائشة (تحرير) (2014). الاستشراق في عُمان. مسقط: دار الغشام.

مسقط إلى الأشخرة، والشرقية والجبل الأخضر والباطنة ومسندم وظفار[1].

كما أن هناك الدراسة التي قام بها الدبلوماسي والباحث الفرنسي غزافيي بلكوك الذي قدم في كتابه (عُمان: خمسة وعشرون قرنا من أدب الرحلات- Oman: twenty five centuries of travel writing) سردا لستين شخصية أو رحالة زاروا عُمان أو كتبوا عنها بدءا من الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد، مرورا بالبغدادي وابن بطوطة وعبدالرزاق السمرقندي، وانتهاء بزيارته الشخصية في عام 1992م برفقة الرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي كان في زيارة رسمية للسلطنة بدعوة من صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم. وقد أحصى غزافيي بلكوك في كتابه هذا من الرحالة والمهتمين الذين كتبوا عن عُمان سبعة عشر فرنسيا، وإثنا عشر بريطانيا، وثلاثة ألمان، وروسيا واحدا، وبرتغاليين، وهنديا واحدا، وتركيا واحدا، ونمساويين اثنين، ورومانيين اثنان، وأمريكيين اثيين، وكنديا واحدا، وبلجيكيا واحدا، وهولنديا واحدا، وسويسريا واحدا، ومبعوثا واحدا من الكرسي البابوي بالفاتيكان. ذكر بلكوك أنه اختار لكتابه شخصيات ونصوص معينة على

---

(1) Ward, 1987

وفق معايير محددة تتصل بالتنوع في جنسيات الأشخاص والمواضيع المرتبطة بتاريخ عُمان لكي يحافظ كتابه على الحجم المقبول والتنوع في الطرح[1].

كما أن هناك دراسة (ريان مارشال- Brian Marshall) بعنوان (الرحالة الأوربيون في عُمان وجنوب شرق الجزيرة العربية 1792-1950: دراسة ببليوغرافية). وقد حدد مارشال معيارين لدراسته يتعلقان بالزمن والشخصيات التي شملتها الدراسة. فهو حدد المدة الزمنية بين 1792 و1950، مما يعني أنه لم يشر إلى الرحالة الذين جاءوا قبل وبعد هذين التاريخين ليس لأنه لم يكن هناك رحالة غربيّون جاءوا إلى عُمان في ذلك الوقت وإنما هو يرى أن عام 1792 هو التاريخ لأول جولة فعلية للأوربيين في عُمان. وأما عام 1950 فهو العام الذي أنهى فيه ثسيجر رحلاته سيرا على الأقدام أو على ظهور الدواب وبذلك يمكن اعتبار ذلك العام حدا فاصلا بين الرحلات الكلاسيكية التقليدية من جانب والرحلات ذات الخصائص الحديثة إذ أن الرحلات التي قام بها الأوربيون بعد 1950 كانت تتم بالمركبات. والمعيار الثاني معني بالتعريف الذي قدمه مارشال لمصطلح الرحالة، إذ أكد أن بحثه معني فقط بالرحالة الذين جاءوا إلى عُمان، ولكي يطلق على الشخص رحالة وبالتالي تشمله

---

(1) Billecocq، 1994

الدراسة "يجب أن يكون قد رحل في جزء من عُمان ونشر استنتاجاته"[1]. وبالتالي فإنه استثنى من دراسته "الكتابات التي قام بها الأفراد الذين وصلوا عن طريق البحر إلى بعض الأماكن مثل مسقط ولكنهم لم يقوموا بجولات في الداخل. فهؤلاء الأشخاص يعتبرون زوارا عابرين وليسوا رحالة أو مستكشفين... كما تم استبعاد المسوحات المحيطية بالخليج العربي، وخليج عُمان والجزء الشمالي من المحيط الهندي"[2].

من حيث الموضوعات والمحتوى، قسم مارشال بحثه إلى ثلاثة أقسام عني القسم الأول بالمسوحات الشاطئية التي قامت بها شخصيات وهيئات مثل (بحرية بومبي- Bombay Marine) بدءا من عام 1772 كأول عملية مسح بحري في المنطقة للشاطئ الواقع بين مسقط وراس الحد، ومسوحات (فيليب موجان- Phillip Maughan)، (جون أم جاي- John M Guy)، (جي بي بركس- G. G. Brucks) في شبه مضيق هرمز والخليج العربي بين 1820-1829. وأما القسم الثاني فقد خصصه مارشال للرحالة الذين قاموا بجولات في داخل عُمان. وعني القسم الثالث بالاكتشافات الجيولوجية. ودأب على تقديم وصف للرحالة والجولة أو الجولات التي قام بها في عُمان، ثم يقدم

---

(1) Marshall، 1994 ص 2

(2) المرجع السابق ص 3.

سردا للمنشورات التي أصدرها الرحالة عن عُمان والمراجع والمصادر التي عنيت بالكتابة عن ذلك الرحالة.

الحدود الزمانية والموضوعية التي حددها مارشال لدراسته والمعايير التي وضعها بلكوك لاختيار الأفراد والمواضيع التي عنيت بها دراسته وإن كانت تجعل عددا لا بأس به من الرحالة والمستشرقين خارج التغطية البحثية وتحرم القارئ والمهتم من الاطلاع على معلومات مهمة عن عُمان وعن الرحالة والمستشرقين، إلا أنها تفتح المجال واسعا للمزيد من البحوث والدراسات الجديدة حول هذا الموضوع الشائق والمهم.

الخاتمة:

حظيت عُمان بنصيب وافر من اهتمام الرحالة والمستشرقين الغربيين يمتد منذ وصول الغزاة البرتغاليين إلى عُمان في 1507 واستعمارهم لأجزاء من شريطها الساحلي وحتى عصرنا هذا الذي ما يزال الباحثون والمؤلفون الغربيون يصدرون فيه البحوث والدراسات والكتب عن عُمان. كان لموقع عُمان الاستراتيجي على المحيط الهندي واشتغال أهلها بالتجارة البحرية وإبحارهم تجارا ومسافرين وربابنة بين عُمان والهند وشرق إفريقيا، إلى جانب أن عُمان دولة مستقلة لها حكومتها التي اتخذت مسقط عاصمة للدولة كل ذلك كان له الأثر مما أعطى لعُمان دورا استراتيجيا في

جذب اهتمام الرحالة والمستشرقين الغربين. إضافة إلى ذلك كانت للمصالح الخاصة للدول التي ينتمي إليها الرحالة والمستشرقون دورا كبيرا في نشوء اهتمامهم بعُمان. لمؤلفات الرحالة والمستشرقين وموروثهم الثقافي عن عُمان وشعبها أهمية ثقافية وعلمية وتاريخية وأكاديمية مما يستدعي الاعتناء بذلك الموروث وجمعه من مصادره المختلفة وتوفيره للباحثين والدارسين من عُمان وخارجها، وإتاحته للأجيال القادمة التي تتشوق إلى معرفة الماضي والإرتشاف من عبق التاريخ.

المراجع:

الحجري، هلال (2010). غواية المجهول. مسقط: النادي الثقافي.

الحسيني، سليمان (2014). الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام. نزوى: جامعة نزوى، مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية.

الدرمكي، عائشة (تحرير) (2014). الاستشراق في عُمان. مسقط: دار الغشام.

السالمي، عبدالله بن حميد (1912). تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان. البحرين: مطبعة الإمام.

السالمي، محمد بن عبدالله (1985). نهضة الأعيان بحرية عُمان. القاهرة: دار الكتاب العربي.

عبدو، انطوان (2014). صورة تطور عُمان الحضاري في مدونات المستشرقين القديمة والمعاصرة. في الدرمكي، عائشة (تحرير) الاستشراق في عُمان (ص 111- 144). مسقط: دار الغشام.

مسعودي، الحواس (2014). عُمان في عيون الرحالة والمستشرقين. في الدرمكي، عائشة (تحرير) الاستشراق في عُمان (ص 78- 111). مسقط: دار الغشام.

المعشني، أحمد (2014). من سمات الشخصية العُمانية وأبعادها في كتاب الرمال العربية لويلفرد ثيسيجر. في الدرمكي، عائشة (تحرير) الاستشراق في عُمان (ص 160- 190). مسقط: دار الغشام.

نيبور، كارستن (1913). وصف أقاليم الجزيرة العربية. ترجمة مازن صلاح. بيروت: الانتشار العربي.

Bidwell, R. (1978). Bibliographical notes on European accounts of Muscat, 1500-1900. Arabian Studies, 4, pp 123-159.

Billecocq, Xavier (1994). Oman : twenty-five centuries of travel writing. Paris: Relations Internationales & Culture.

Billiere, P. (1994). Looking for trouble. London: Harper Collins Publishers.

Boersma, J. (1991). Grace in the Gulf. Grand Rapids, Michigan: Eerdmans Publishing.

Connor, K. (1998). Ghost Force: the secret history of the SAS. London, Cassell.

Duchess of St. Albans (1980). Where time stood still: a portrait of Oman. London: Quartet Books.

Geraghty, T. (1980). Who dares wins: the story of the special air service 1950-1980. London: Arms and Armours Press.

Haig, C. (1902). Memories of the Life of General F. T. Haig. London: Marshall Brothers.

Harrison, Paul (1943). Doctor In Arabia. London: Robert Hale Limited.

Joyce, Miriam (1995). The Sultanate of Oman: a twentieth Century History. Westport: Praeger.

Lorimer, J. (1915). Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia. Calcutta: Superintendent Government Printing.

Marshall, Brian (1994). European travelers in Oman and Southeast Arabia 1792-1950: a biobibliographical study. In Bidwell, R.p Smith, G. & Smart, J. (eds.). New Arabian Studies 2. Exester: UEP.

Peterson, John E. (1978) "Oman in the Twentieth Century: Political Foundations of an Emerging State", London: Croom Helm.

Phillips, Wendell. (1967). Oman: a history. London: Longman.

Ward, Philip (1987). Travels in Oman: on the tracks of early explorers. Cambridge and New York: Oleander Press.

Wilkinson, J. (1981). Oman and East Africa: new light on early Kilwan history from the Omani sources. The International Journal of African Historcal Studies. 14/2, pp 272-305.

Wilkinson, J. (1987). The Imamate Tradition of Oman. Cambridge: Cambridge University Press.

Zwemer, Samuel (1900). Arabia the Cradle of Islam. Edinburgh: Oliphant Anderson and Frerrier.

كلمة الناشر:

هذا الكتاب يضم ثلاثة بحوث تقدم نموذجا للعلاقات العمانية الحضارية بالعالم، فعمان ترتبط منذ القدم بعلاقات حضارية مع شعوب الأرض ودول العالم، رسّخ دعائمها في هذا العصر التوجه الذي خطته القيادة العمانية بنشر ثقافة السلام والحوار والتفاهم والتعارف في الداخل والخارج. وقد أصبحت علاقات عُمان الحضارية مع الشعوب والدول الشقيقة والصديقة محط أنظار المراقبين، وهي علاقات جديرة بالدراسة والبحث، لفهم خصوصيتها وفلسفتها وأسسها ومقوماتها؛ لذلك جاء هذا الكتاب ليسهم في تقديم دراسة تُعنى بعلاقات عمان الحضارية، ولتفتح المجال نحو مزيد من الدراسات في هذا الجانب المهم من سمات عمان المعاصرة وخصوصياتها المميزة.

المؤلف:

سليمان بن سالم الحسيني، حاصل على دكتوراة في التربية من جامعة ليدز ببريطانيا في 2004م، يعمل حاليا في جامعة نزوى باحثا متفرغا بمركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية. وقبل ذلك شغل في الجامعة منصب مدير معهد التأسيس من 2009م إلى 2013م. وشارك في عدد من المؤتمرات المحلية والدولية، وله عدد من الأوراق البحثية والكتب المنشورة، منها: كتاب (الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام)، وكتاب (التنافس مع الذات: طريقك إلى النجاح). وشارك في عديد من اللجان التخصصية على مستوى الجامعة وخارجها. وللتواصل مع المؤلف: salhusseini@unizwa.edu.om

الناشر:

مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
جامعة نزوى، الحرم المبدئي
ص ب. 33، الرمز البريدي: 616
بركة الموز، نزوى، سلطنة عمان
الهاتف: 25446248 (968)
البريد الإلكتروني: alkhalilcenter@unizwa.edu.om

978-99969-57-36-9